وليم شكسبير



تاجر البندقية

تعريب

خليل مطران

إشراف

نظير عبود

دار

نظير عبود

وليَم شكسبير

تاجر البُندُقيّة

تعريب

خليل مطران

إشراف

نظير عبود

دار
نظير عبود

ص.ب : ٨٠٨٦/١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢-٩٢٤٧١٤

مقدمة للمعرب

أصل هذه القصة أحدوثة، وما أصغرها من أحدوثة، جرت على الألسنة في ايطاليا وتداولتها نقلاً عنها سائر الأمم : محصلها أن فتاة ذات مال وافر وجمال باهر وعقل كالكوكب الزاهر ، كان قد مات عنها أبواها، فخطبها إلى نفسها ملك مراكش وأمير أراغون في جملة النبهاء ممن خطبها . ولكنها مالت إلى شاب رقيق الحال من مسقط رأسها ومن بني جنسها ، استدان المال الذي أنفقه في الزلفى اليها بضمان صديق له فقير مثله ، رهن لليهودي الذي أقرض ذلك المال رطلاً من لحم صدره. فاستخارت الفتاة الله في مستقبلها ، وناطت أمرها بثلاثة صناديق : ذهبي وفضي ورصاصي، جعلت في الأول منها جمجمة ميت، وفي الثاني رأس هزأة أبله ، وفي الثالث رسمها ، فمن اختار من الخطّاب الصندوق الذي فيه رسمها أصبحت له حليلة . وقد جاء في هذه الحكاية ما يجيء عادة في كل حكاية من أمثالها : أن حبيب الفتاة هو الذي ألهم الصواب ، ففرحت به ، واحتالت لانقاذ

صديقه من تبعة ضمانه لليهودي ، بأن تزيت بزي عالم قانوني ، قضت على المرابي .

طالع شكسبير هذه الأسطورة من أساطير السذج في تلك الأيام ، فما أجالها إجالة في ذهنه المبتدع حتى بدأ بها فصورها جملة في أحسن ما تتصور حادثة إنسانية شعرية ، معطياً إياها من الجدة والندورة ما صيرها من خرافة عامية تقصها العجائز على حفدائها وحفائدها إلى رواية تمثيلية من أسمى الروائع التي جادت بها قرائح المبدعين في هذا الفن .

ثم طفق يهيء أجزاءها ويرتب مشوقاتها ويصل بالأسباب الفكرية الدقيقة مـا بين أوائلها وغاياتها ، وههنا يجد المطالع شخصاً يتمثل به كل قصد بحيث لو بحث في الانس كلهم عن أجمع من هذا الشخص لمقومات الصفة التي أراد المؤلف أن يظهره متصفاً بها لما وجد أتم مما هو في تقدير شكسبير .

وما بالك بعد هذا بالكساء اللفظي الذي كانت أزواج تلك المعاني خليقة أن تكتسي به ! إن المعجم على ضخامته وسعته الطائلة لمتضائل ومتقارب الجوانب ومتحفز الأصداء للإجابة بين يدي شكسبير ، كالطبيعـة بأسرها حين يصور ، أو كالنفس الانسانية في أقصى حدودها جلالة أو دقة حين يتخيل ، أو كالقلوب المتأثرة الخفاقة حين ينصت اليها ويجمع من حساتها مادة حكمه ليقرر .

وما ازددت قراءة لمنظومة من منظومات هـذا الرجل ،

قصيدة فذة كانت أم رواية ، سؤالاً في عرض محادثة بين شخصين أم جواباً ، كلمة جدّ ألقي بها في ملامة أم كلمة مزاح ، إلا ازددت له إكباراً . وناهيك منه بشاعر سمت به العبقرية إلى أوج جلالها ، جعل القصة التمثيلية مجالاً غير محدود للوصف ، فبيّن بها أحوال النفس على اختلافها، وقلب ظروف الحياة زماناً ومكاناً على كل وجوهها ، وقيّد أوابد الشكل من كل نواحي الفن وفي كل مراميه ، جامعاً في ذلك كافة بين المبكي والمضحك جمعاً خلاباً غريباً ، مازجاً ما يغضب وما يرضي أو ما يسوء وما يسرّ مزجاً رائعاً عجيباً .

إقرأ ـ رعاك الله ـ هذه القصة على النحو الذي نحاه شكسبير في جعلها حكاية عن الحقيقة ، تتبين عجباً عجاباً . وأي عجب عجاب كإخراجه من تلك الأنقاض المتداعية المتدابرة غير المتماسكة ، أنقاض الأسطورة العتيقـــة ، صرحاً أيّداً [1] مشيداً ليس في جملته ولا في تفصيله إلا أفـانين صادقة من الحوادث الإنسانية بمقدماتها ونتائجها التي هي أبداً قديمة وأبداً جديدة .

الآن أصبحت تلك القصة ولا موضع فيها لسؤال السائل عن شيء يتمم مـــا فيها من الدروس الاجتماعية المرتبطة بموضوعها وبكل ما يتحرك في دائرته . أصبحت ولا محل فيها لتمني من يتمنى علة صحيحة لحديث مسوق ، أو لفظة مناسبة لمقـام ذي بال ، أو عبارة أو إشارة كان يحسن أن توجد في مكان معلوم .

---

(١) أيداً : قوياً .

فإذا فرغنـا من النظر إلى جملة القصة فهلمّ نقلب الطرف في التفصيل المعنوي :

خذ الأشخاص وتبين كنه كل منها ترَ آية شكسبير الكبرى: آية تعمقه إلى كنه الإنسانية في كل حي من أحيائها على اختلاف البيئات، وتعدد المناشىء والصفات، وتنوُّع المعايش والمكروهات والمشتهيات . تجد الطمع فتقول لا يصوَّر بأدق من هذا ، تجد الجبن فتقول لو تمثل رجلاً لكان هذا ، تلمح الحقد فتقول كأنني بفلان وفلان وقد كشف كلٌ عن جزء من الحقد الذي في قلبه فاجتمع من الثلاثة الأجزاء هذا النوع التام من الحقد بل النوع الأتم. وهكذا الحكم في كل ما تصدى شكسبير لإظهاره بمظهره البشري .

إذا بلغ الوفاء من الصديق للصديق أسمى مبالغه التي شهدناها، أو جاءنا بسيرها التاريخ من عهد أرسطاطاليس الذي يؤثر عنه تحبيذ أرقى معنى في معاني الوداد ، فهل يزيد شيئاً على ما جعله شكسبير في نفس « أنطونيو » من معجزة الوفـاء وأجراه على لسانه من بديعها ؟

إليك مـا يقوله حين يستعين به صاحبه على اقتراض المال الذي بـه يقترب إلى مالكة لبّه ، ويتوصل إلى مطمح نظره ومطمع قلبه :

« أنطونيو : ما كان أغنـاك — على علمك بي — عن إضاعة الوقت في الاحتيال للاستعانة بمودتي. إنك بارتيابك في خلوصي

لك لتسوؤني أكثر ممـــا لو أضعت عليّ ثروتي بأسرها . قل ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو حين يشترط اليهودي إقراراً منه بأنه إذا لم يفِ بالدين المطلوب في يوم كذا بمكان كذا أوجب لليهودي عليه اقتطاع رطل من لحمه في المكان الذي يختاره من جسمه ، فقد كان أول جوابه هذه الكلمات التي هي من أكبر ما قيل في التفـدية للصديق بالنفس والنفيس : « أوافق بارتياح على هذا الشرط » .

ثم اليك ما يقوله أنطونيو مودعاً ، وقد وقف من الموت قيد خطوة ، وبقي له من العمر فسحة دقيقة أو ثانية لا يحسب لها ثانية ، ويموت عندئذ من أجل صديقه أبشع الميتات وأشدها إيلاماً للصور ، فضلاً عن الجثمان الحيّ ، سامعاً ورائياً ، شحذ المدية على نعل اليهودي الذي يتأهب لقتله :

« أنطونيو : شيء غير كثير . أنا متأهب وصابر. هات يدك يا باسانيو وتلقّ وداعي . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك ، فإن المقادير رفقت بي رفقاً ليس من مألوفها في مثل مصابي . فمن مألوفها أن تبقي من فقد جاهه حياً غائر العينين متقل الجبين بالغضون [١] ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة . أما أنا فإنها أنقذتني من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو أن تذكرني بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها كيف كانت نهاية

(١) تغضن : تجعد ، تشنج .

أنطونيو ، وتصف مبلغ حبي لك ، وتبثها بثك مما ألم بك حين شهدت ميتتي ، فإذا فرغت من ذلك ، أن تسألها « ألم يكن لي صديق ؟ » ثم أن لا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق فإنه هو غير آسف على إبرائك من دينك مع علمه أن مدية اليهودي لو انحرفت أو تمادت قليلاً لذهبت بالقلب كله فداء لك » .

فإذا انتقلنا إلى تمثيل الجمال أصلح ما يكون لتزدان به الزوج الصالحة وأبهج ما يكون رسماً حسياً للكمال ، فهل يتهيأ لنا ملك في شكل بورسيا وهي تقول لعاشقها الذي وفق فصار زوجاً لها:

« بورسيا : أيها الهمام باسانيو ، هأنذا لديك كما أنا ، ولولا أمر جددته في نفسي لاجتزأت بالنعم التي منحتها ولم أستزد. ولكنني غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أعظم جاهاً ، فتكبر حظوتي في عينيك ، ولو كانت لي من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب أعداد لا تنفد . إلا أنني — ولا فخر — غير خالية من شيء يقدر بقدر ، فإنما أمامك فتاة معصر[1] نقية غرة تمتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدنة[2] صالحة للتقويم ، ومن سعد طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصي على التعلم ، ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زمامها عن رضى بين يديك ولإقرار عن خضوع بأنك سيدها وأميرها ومليكها . فأنا وكل مالي قد أصبحنا لك اليوم.

---

(١) معصر : مدرك . (٢) لدنة : لينة .

كان قبلاً هـــذا القصر المشيد قصري ، وكنت مولاة خدمي وحشمي ، وكان بيدي قياد نفسي . أما الآن فالدار والتبع والمتبوعة في تصريف بنانك يا ولي أمري » .

كل اولئك عجب ، وإن عند شكسبير لأعجب : هـــذا شيلوخ اليهودي المطماع ، المرابي ، الحريص إلى التقتير ، الذي لا تسخو نفسه « بالدوقي » [1] ينفقه في اقتنـاء الدواء إذا مرض وأوشكت العلة أن تقضي عليه ، قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على النقيضين في آن : يثور بـــه الحرص فيبكي ، وأي بكاء ، على أعلاق[2] سرقتها ابنته وفرّت بها مع شاب مسيحي ، ثم يشبّ به عامل الحقد الديني فيتغلب فيه على ذاك العامل ويحركه إلى التخلي عن ثلاثة آلاف دوقي ذهباً ، بل عن ستة آلاف ، بل عن اثني عشر ألفاً تعرض عليه فـــداء ، فيأباها كأنها أقل من درهم لينتقم من أنطونيو النصراني .

وهل في إظهار التنازع بين الإحساسين المتضادين في النفس الواحدة أبلغ من هـــذه العبرة التي جاء بها شكسبير بين الجد والهزل ؟ طالعوا في دقائق معدودة هذا الحوار بين شيلوخ وبين صديقه وأخيه في الدين طوبال الذي ناط به شيلوخ البحث عن ابنته الفارّة :

« شيلوخ: ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟

---

(١) دوقي : نوع من الدراهم . (٢) الأعلاق : ما يعلق من حلي وجواهر.

طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمّة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها !

شيلوخ : يا للخسران ! اختلست مني ألماسة بيعت عليّ في فرنكفورت بألفي دوقي . الآن قد طفقت اللعنة تحلّ على أمتنا حلولاً لم أشعر به من قبل . ألفا دوقي فقدتها عدا مصوغات أخر غالية وأي غلاء.من لي بابنتي ميتة عند قدمي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ؟ عجباً ! أما من نبأ عنها — هكذا — ؟ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة...

طوبال : لست فذّاً في تعرُّضك للنوائب (١). إن أنطونيو قد فقدَ إحدى سفائنه .

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت نواتية نجوا من الغرق .

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت الأخبار .

طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة بجنوا .

شيلوخ : تطعنني بخنجر في قلبي ! لن يعود

---

(١) النوائب : المصائب .

إليّ ذهبي .

طوبال : في رجوعي إلى البندقية حدثت أن أنطونيو لا بد له من التفليس .

شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا . سأعذبه . سأنكل به .. يا للسرور !

طوبال : أراني أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرد أعجبها .

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلني يا طوبال . تلك زبرجدتي[1] التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبتي ، ولو أعطيت فرقة من القردة لما أعطيتها » .

أما من جهة العبارة وفصاحتها والديباجة وروعتها فليس في عزمي بالبداهة أن أجيء باستشهادات في اللغة الإنجليزية لتبين براعة شكسبير في استخدام لغته على ألف نحو لا يجارى فيه للتعبير عما يجول في رأسه أو ينبض به قلبه. وإنما سأحاول أن أظهر تلك البراعة بأقرب ما تتسنى محاكاة النقل للأصل ، فيشعر متصفح الكلام وهو يقرؤه عربياً مبيناً أن شكسبير هو الذي يتكلم .

خذ مثلاً من أمثال تتجدد في كل صفحة وتتعدد في كل مقام. كلام برسيا وهي متنكرة في زيّ قاض تصف الرحمة لتستعطف الاسرائيلي شيلوخ . أقيل في الرحمة أفصح وأجل من كلامها ؟

---

(١) زبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد أشهره الأخضر .

« برسيا : جمـــال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً. فهي كماء السماء ينهمل بالخير ويهطل باليمن عفواً ممن وهب ، وبركة لمن كسب . فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة فهنالك بهاء قدرتها وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك القائم كانت لهامته أزين من التاج ، وفي يده أقوى من صولجان الأمر والنهي ، وكان عرشها المنصوص في قلبه أعظم تمكيناً له من عرشه الذي يستوي عليه، لأنها من صفات الله عزّ وجل، ولا يكون السلطان الدنوي أقرب شبهاً إلى السلطان العلوي منه إذ يلطف العدل بالرحمة . فيا أيها اليهودي مهما يكن من استنادك في دعواك إلى العدل فلا تنس أن الله لو عامل كلا منا بمحض العدل لمـا بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافين عن الناس » .

وإذا كنت قد آثرت موضوعاً جليلاً للاستشهاد به هنا فلا يؤخذن من ذلك أن كل لفظة جعلها شكسبير ، حتى في نطق أحقر أشخاصه وأقلهم شأناً ، ليست هي اللفظة التي تتعين دون سواها لأداء غرضه مقوى بها كما هي طريقته في الأداء التمثيلي مائة ضعف ، على اعتبار أنه إنما يخاطب بها العالمين لا فئة من الناس دون الأخرى .

عند هذا الحد أقف في وصف هذه الرواية والتنبيه على شيء من مزاياها . وسيرى المطالع بنفسه من حسناتها في كل فقرة وفي رمز ما تأخذه الدهشة لديه ويخالط عجبه منه الإعجاب به .

إن الغُرَر في روايات شكسبير ثمان على ما أعتقد ، وهذه إحداهن . عربتهنّ جميعاً ، وسأوالي تمثيلهن بالطبع ، إذ هنّ لكل لغة حاجة وزينة ، فما بالك باللغة العربية وهي مجتمع أبحر البيان وملتقى كل حسن أدبي وإحسان .

خليل مطران

أشخاص الرواية

دوج البندقية
الأمير المراكشي
أمير أراغون
أنطونيو — تاجر البندقية
باسانيو — صديقه
سالانيو، سالارينو، جراتيانو — أحباب لأنطونيو ولباسانيو
لورنزو — عاشق لجسيكا
شيلوخ — يهودي
طوبال — يهودي صديق لشيلوخ
لنسلو جوبو — مضحك في خدمة شيلوخ

جوبو الهرم — والد لنسلو
سالريو — رسول من البندقية
ليوناردو — خادم باسانيو
بلتزار، ستفانو — أجيران لبرسيا
برسيا — وارثة مثرية
نريسا — تابعة لها
جسيكا — بنت شيلوخ
أعيان من البندقية
ضباط دار الحكم
سجان
خدم ... الخ

تجري وقائع هذه الرواية تارة في البندقية وتارة في قصر برسيا بمدينة بلمنت.

الفصل الاول

المشهد الأول

منهج في البندقية

(يدخل أنطونيو وسالارينو وسالانيو)

أنطونيو : حقاً لا أعرف لماذا أنا حزين حزناً يُتعبني ، ويشق عليكما فيما أرى . إني لأسائل ضميري من أين جلبت انا هذه الكآبة، أو كيف وَفدتْ هي عليّ ، او في اي مكان صادفتني ، او من اي غزل نُسجت ، او تحت أية سماء وُلدت ، فما أكاد أحير جواباً ، بل أشعر ان بي بلاهة ، وأوشك ان أتنكر على نفسي .

سالارينو : لا غرو ان يكون عقلك ضارباً في العباب متعقباً بين النواهض والعواثر من الأمواج، آثارَ مراكبك الضخام التي

تتخطر بسواريها البواسق فوق الغمر تخطر الغطاريف [1] الذين لهم السيادة على البحر ، او تحلقُ من عل فوق جماهير الصغار المتضائلات من سوقة السفن وعامة المنشآت فيحيينها بإجلال حين مرورها بهن سابحة ، وكأنها طائرة بأجنحتها الكتانية .

سالانيو : أيقن يا سيدي انني لو خاطرت بمالي مثل مخاطرتك لدرجت أهوائي تتعقبُ آمالي في تلك الآفاق البعيدة، او لما وجدتني من نشدَني إلا عاكفاً على فُريعات الأعشاب أستخبرها عن مهـــاب الرياح ، او مكبّاً على صُورَ الأرض أبحثُ عن المرافىء والأرصفة والموانيء ، فأيما شيء تبينت منه أدنى باس على أوْساقي [2] مِت له جزعاً .

سالارينو : بل لـكان من شأني في مثل هذه المجازفة أنني إذا نفخت في حسائي لتبريده ، طفقت أفطن للآفات التي قـد تحدثها العواصف في البحر فأرتعد . وإذا نظرت إلى تناقض

---

(١) الغطريف : الشاب الظريف ، الحسن .

(٢) أوساقي : ستون صاعاً ، أيضاً حمل البعير .

المزْوَلة [1] خطرتْ على بالي الجروفُ والأغوارُ الرملية وبَدَت لوهمي تلك الجاريةُ الكبرى المسماة «بسنت أندري» جانحة وقد انقلبت ساريتها الوسطى إلى ما تحت غاطسها كأنها تقبل رَمسَها. وإذا يممت الكنيسة فلاحت لي مبانيها الحجرية المردة ذكرت من فوري تلك الصخور الصماء التي إن مست جانباً من جوانب فلكي ارتطم بها ، وألقى بمـــا يحمله على وجه المحيط فانبثت البقولُ فوق الحباب وانتشر الحريرُ على مناكب الأمواج المدارة ، وانتقلت انا في عقبها من مُلابسة الثراء إلى ملابسة الثرى . أفي وسع إنسان ان يرى مني تلك الحالة فلا يفهم ان ما يشغل بالي إنما هو هذا الشاغل ؟ قولوا ما تشاؤون ، أما انا فلا أحمل همّ أنطونيو إلا على محمل تفكيره في مشحوناته .

أنطونيو : لا وصدّقاني. ليست لحسن طالعي كل بضائعي في موسق [2] واحد ، ولا هي موجهة إلى مكان واحد فتكونَ عرضة

---

(١) المزولة : كلمة وضعوها للدلالة على الساعة الشمسية التي يعين فيها الظهر الحقيقي بظل الشاخص الذي يرفع عليها.

(٢) وسق : جمع وحمّل .

للأخطار، بل أزيد كما أنني لم أقامر بكل ثروتي في مضاربات هذه السنة ، فكآبتي ليست من جانب مشحوناتي .

سالانيو : إذن أنت عاشق .

أنطونيو : لا ولا .

سالانيو : فإن لم تكن عاشقاً لم يبق لنا ان نقول إلا انك ترح لأنك غير فرح ، كما أنك بالقياس على هذا لو كنت مبتهجاً لجاز لك ان تضحك ، وترقص ، وتجهر بانك مسرور ، لأنك لست بمحزون . حلفت بيانوس ذي الوجهين إن الطبيعة تخلق في بعض ما تخلق أُناساً مستغربين، فئة منهم لا تني عيونهم متيقظة على كونهم كالببغاوات ، يضحكون لأول نافخ في مزمار يسمعهم لحناً ما ، وفئة آخرون لا يفتأون مقطبين جباههم . إذا طرقت آذانهم نكتة من المستظرَفات التي تضحك الحليم ـ ولو انه نستور الحكيم ـ لم تنفتقْ لهــا شفاههم المضمومة عن أدنى ابتسام .

(يدخل باسانيو ولورنزو وغراتيانو)

سالانيو : هــذا باسانيو قريبك الشريف قادماً يصحبه غراتيانو ولورنزو. نستودعك الله وندعك برفقة أحسنَ محضراً منا.

سالارينو : لو لم يجيء من هو خير ومني ، لأقمت حتى أزيلَ كآبتك .

أنطونيو : ما أشد اعتدادي بمودّتك ، لكن شؤونك تدعوك وأنت تنتهز الفرصة للانصراف اليها .

سالارينو : نعمتم صباحاً يا سادة .

باسانيو : إيهاً يا سادة متى نستأنف مباسطتنا ؟ قولوا متى ؟ لقد أطلتم هجرنا فإلامَ هذا الجفاء ؟

سالارينو : متى أذنت أشغالكم باللقاء ، فنحن ممتثلو أمركم .

(ينصرف سالارينو وسالانيو)

لورنزو : أما وقد التقيت بأنطونيو يا سنيور فنحن نتولى عنكما إلى ان يحين العشاء ، فعسى ان لا تنسى المكان الذي سنجتمع فيه .

باسانيو : ثقا انني آت .

غراتيانو : ليس في وجهك ما يدل على الصحة يا سنيور أنطونيو . لشدّ ما تشغلك أمور الدنيا ، ومخسرٌ من اشترى النجاح بثقال الهموم . إنك لعلى غير ما أعهد فيك من العافية .

أنطونيو : غراتيانو ، إنما أنظر الى الدنيا كما يجب ان ينظر اليها باعتبار انها ملعب لكل فيه دور ، اما دوري فكتبت عليه الكآبة.

غراتيانو : واما الذي أؤثره لنفسي فدور الضُحْكة . لئن علتني غضون الشيخوخة فلا علتني إلا بين السرور واللهو . وخير لي ان تُرْمضَ[1] الخمرة كبدي من ان تبددَ الأشجان أنفاسي تصويباً وتصعيداً . علام يرضى الإنسان ـ إذ الدمُ لا يزال حارّاً في عروقه ـ ان يتشبه بالمرمر المصنوع منه تمثال جده ، فلا ينام إلا مستيقظاً ، ولا يستفيد من تدفق الكآبة الصفراء على قلبـه سوى داء اليرقان ، أصغ إليّ أنطونيو . انا أحبك، وعن حبي مصدر الكلام الذي أسوقه اليك . من الناس من وجهه كوجه الماء الراكد به انتفاخُ ويغشاه ما يغشى المستنقعات من مر المراءات « يصمت عن تدبير ليذيع عنه انه لبيب متبصر متبحر في الأمور ، فإذا فتح فاه فكأنه قائل : « انا صوت الوحي ، حذار ان تنبح الكلاب » ... اي صفيّـي انطونيو ، أعرف غير واحد لم يشتهروا بالعقل إلا لعدم نطقهم بشيء ، مع أنهم لو نبسوا لآذَوْا أسماعَ مجالسيهم ولعوملوا معاملة المجانين . سنعود الى هذا البحث فيما بعد . انتصح بنصحي ، ولا تحاول ان

---

(١) ترمض : تفسد ، تحرق .

تتصيد الشهوة بحبالة حزنك فهي صيد الحمقى ـ تعال ايها العزيز لورنزو ـ (لأنطونيو) وداعاً الى هنيهة ، ماتم عظتي بعد العشاء .

لورنزو : أجل سندعكم إلى ميقات العشاء، ولما كان غراتيانو لا يفسح لي في الكلام البتة فقد رضيت ان أكون واحداً من أولئك الحكماء الصامتين .

غراتيانو : لا جرم انك لو استمررت على معاشرتي سنتين آتيتين لتعذر عليك بعدهما ان تعرف صوتك .

أنطونيو : في رعاية الله . إذا ظلت الحال هكذا ، لم تلبث ان تحولني الى ثرثارة .

غراتيانو : أولى لك ثم أولى ، فإن الصمت لا يحمد إلا في اللسان المدخن وفي فم العذراء التي لا تبيع عرضها .

(يخرج غراتيانو ولورنزو)

أنطونيو : أيوجد شيء من المعنى تحت هذا كله .

باسانيو : أذلقُ أهل البندقية لساناً ، بمثل هذه التوافه ـ غراتيانو ـ والأسباب التي يبني عليها أقاويله ، أشبه بحبتي قمح في مكيالين مفعمين بالتبن ، فتش سراة النهار حتى تجدهما ، فإذا وجدتهما فما أقلهما من شيء في جانب هذا العناء !

أنطونيو : حسن . حدثني الآن عن تلك المرأة التي عزمت على حجّ بيتها في الخفاء .

باسانيو : لا تجهل يا أنطونيو ما كان من تبديدي ثروتي بالتوسع في الإنفاق منها على قلة مواردها ، وما جرّني اليه ذلك من الديون الباهظة، فهمّي الآن ـ ولا يداخله شيء من خوف السقوط عن ذلك المقام الرفيع ـ هو ان أوفي تلك الديون كما يقتضي شرفي ، ومعظمها لك سمحت به عن وداد . فإلى ودادك اليوم ألجأ لتعينني على تحقيق آمالي، وتمدني بما يوصلني إلى أداء ما عليّ .

أنطونيو : عرفني آمالك يا صديقي باسانيو، فإذا كانت شريفة كما أعهدك شريفاً ، فأنت واثقٌ ان مالي وشخصي وكلّ ما في وسعي رهنُ خدمتك .

باسانيو : عندما كنت طالبَ علم اتفق لي غير مرة ان أرمي نبلاً فافقد أثرها ، فإذا أردت الإهتداء اليها رميت أخرى في ناحيتها ، ورقَبتها في منطلقها ؟ ثم مضيت في ذلك المتجه فلم أرجع إلا وقد ظفرت بالنبلين جميعاً. ذلك لمخاطرتي بالثانية بعد الأولى . وقد قصصت عليك هذه السانحة الصبوية ،

لأن ما ساذكره لك لا يقل عنها تفاهة . انا مدين لك بكثير ، ويوشك ما أقرضتني ان يكون مفقوداً لأن نزَق[1] الصبى حالَ دون تبصري في عقبى هـذا التفريط ، غير انك إذا أسعدتني على إرسال سهم ثان في مرمى السهم الأول رقبته بتفطّـن ، وفزت يقيناً بوجدان السهمين كليهما ، او عدت على الأقل بالأخير منهما . وبقيت لك عن الذي سلف ممتنّـاً شكوراً .

أنطونيو : مـــا كان أغناك ــ على علمك بي ــ عن إضاعة الوقت في الإحتيال للاستعانة بمودتي . إنك بارتيابك في خلوصي لك لتسوءني أكثرَ مما لو أضعت عليّ ثروتي باسرها . قل ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم .

باسانيو : في قصر بلمنت غانية غنية ، وارثةٌ لجاه كبير ، جمالها فوق ما تصف الكلم ، وخصالها لا نظائر لها . راسلتني عيونها في بعض الأوقات ، ساكتةً والهوى يتكلم . يسمونها برسيا ولا تقل شيئاً عن سميتها برسيا بنت كاتون قرينة بروتس ، على أنها ليست بمغمورة الذكر ، ولا مبخوسة المهر ، فإن

---

(١) نزق : الخفة في كل أمر ، العجلة في جهل وحمق .

نبهاء الخطاب يتوافدون اليها من كل فج وشاطىء. تتساقط ضفائرها على صُدغيها كأنها جدلتْ من ذهب . ومـا من خاطب مجد ، وطالب سعد ، إلا وقد طرق بابها ، والتمس جوابها . فيـا صديقي أنطونيو لو تيسر لي ان أتقدم بين المتقدمين في هذه المناظرة ، فإن وحياً نجيّـاً يسر إلى قلبي أنني سأدرك قَصَـبَ السبق .

أنطونيو : تعلم ان ثروتي جميعها تحت رحمة المحيط ، وأنه لا يتسنى لي ان أجمع الآن من مالي مقداراً جديراً بالذكر ، فاذهب الى البندقية واسبرْ ما تقدر على استدانته بضماني ، فأيّـا كان الشيء يبلغك مرامك لم يعزّ عليّ بذله . أبحث في كل مظنة للنقود ، وسأبحث انا كذلك ، ولعل ما للناس بي من الثقة او ما لي عندهم من الكرامة يقضيان أرَبك .

(يخرجان)

المشهد الثاني

بلمنت – قمم من قصر برسيا

(تدخل برسيا ونرسيا)

برسيا : حقاً يا نرسيا إن جسمي الصغير لتعب من هذا العالم الكبير.

نريسا : ما كان أحراك بهذا التعب لو ان ما عندك من اليسر أبدل بعسر، غير أنني قد تبينت ان الإنسان يُشقيه فرطُ الغنى كما يشقيه جهد الفقر . وإن السعد عينَ السعد في الحـــالة الوسطى ، فإن مع الترف وشكَ المشيب ومع الشظف إمهالَ الأجل .

برسيا : نعمت الحكمة ، وحبذا مجراها على لسانك .

نريسا : الخير ان يُعمل بها من ان تقال .

برسيا : لو كان العمل بالأصلح سهلاً كالعلم به لأغنت البِيَعُ الصغرى عن الكنائس الكبرى، ولكانت أكنانُ الفقراء هي القصور الآهلات ... أفضل الواعظين هو ذلك الذى يتعظ بنفس أقواله ، قد يهون عليّ تعليمُ عشرين سامعاً أكثر مما يهون عليّ – لو كنت أحدهم – ان أنتصح بنفس نصائحي .

العقل يسنُ القوانين للحواس ، ولكن حرارة الطبـــاع تدوس تلك الروابط الباردة . ما أشبه جنونَ الشباب بالأرنب الوثاب ، وما أشبه العقل بالشرك الضعيف، أفلت منه ذلك الأرنب ، فمضى لغير مآب .

على ان هذا القياس لا ينفعني أدنى نفع في اختيار زوج لي ، كيف أذكر الاختيار وما بوسعي انتقاء من يعجبني، ولا ردُّ من لا أحب . جعلت إرادتي ـ وانا فتاة في اقتبال الحيـاة ـ رهنَ إرادة تقدم بها إليّ والد هو الآن ميت . أليس شاقّاً على النفس يا نريسا ان تكون الفتاة غيرَ قادرة على قبول من تود او رفض من لا تود ؟!

نريسا : كان أبوك امرَأ خير ، والأبرار يلهمون الخيرَ قبل وفاتهم، فاعتقدي ان الاقتراع الذي ناطه بهـذه الصناديق الثلاثة : الذهبي ، والفضي ، والرصاصي ، وجعلك حليلة لمن يجيء اختياره وفق مراده لن يجيئك منه إلا بعلٌ جدير بحبك . على ان الخطّـاب الذين تقدموا الى الآن كثير ، أفما تقولين لي أيهم أكبر حظوةً في عينيك .

برسيا : أعيدي عليّ ان شئت أسماءهم أصفهم ، ومن الوصف تعلمي منازلهم من رأيي .

نريسا : أولهم الأمير النابلي .

برسيا : هـذا حيوان لا شك فيه . يتكلم بلا انقطاع عن جواده ، ويتباهى بانه ينعلُ الدابة بيده ، ويتقن. حتى لأخشى ان تكون أمه قد عثرت عثرةً بين يدي أحد البياطرة .

نريسا : يليه الكنت البالاتي .

برسيا : هذا رجل سحنته متشبعةٌ من حسن ظنه بنفسه ، كأنه يخبرك : « أترتضين بي أم لا ترتضين ؟ أبيني » . يسمع أظرفَ السير بلا تبسم ، وأخاف لشدة كآبته في شبابه أنه اذا بلغ أخريات أيامه عاش عيشة الفيلسوف الباكي . لأوثر على الواحد من هذين ان اقترن برأس ميت ، في فمه قطعةٌ من العظم .

نريسا : كيف تقولين في الشريف الفرنسي المسيو ليبون ؟

برسيا : هكذا خلقه الله ، ولا اعتراض لي على وجود مثـــله بين الرجال . أعرف ان سخرية المرء من أخيه خطيئة ، لكن ذلك الرجل أكرمُ حصاناً من النابلي ، وأقبحُ عبوسةً من الكنت البالاتي هو كل شيء ولكن لا شيء . اذا تغنى الشحرورُ ترقّص له ، واذا لقي ظله بارزه . فاقتراني به

انما هو اقترانٌ بعشرين زوجاً . ولو احتقرني لغفرت له ، اذ لو أحبني الى الجنون لما أصاب مني سوى الاحتقار .

نريسا : اذاً ما فكرك في فلكيبردج البارون الإنجليزي ؟

برسيا : تعلمين أنني لم أخاطبه . انه ناعم الأظافر لا يفهم كلامي ، كما أنني لا أفهم كلامه . هو يجهل اللاتينية ، والفرنسية ، والإيطالية ، وانا أجهل الإنجليزية إلا كلمتين لا تقوم معهما الشهادة لدى القضاء بأنني أحسن هذه اللغة. به جمال ولكنه كجمال الصور ، وأنّى لي ان أتمتع بحديث مع صورة ، ملبسهُ غير مالوف ، وأظن انه اشترى صدَاره من إيطاليا وسراويلاته القصيرة من فرنسا وقبعته من المانيا واتخذ عاداته من مختلف الأقاليم .

نريسا : وما قولك في جاره الاسكتلندي ؟

برسيا : إنه شديد الرغبة في الإحسان الى أخيه الإنسان ، بدليل انه اقترض صفعة أخيه الانكليزي ، ثم أقسم إلا ما ردها اليه حين يستطيع ، وفي زعمي أن الفرنسي ضمن له المعونة على هذا الرد ، لكنه زوّر صك الضمان .

نريسا : ما حكمك في اليافع الإلماني ابن اخي دوق بسكس ؟

برسيا : بغيضٌ قبل الصبوح ، وأبغضُ منه بعد الغبوق . يوشك في أحسن أوقاته ان يكون رجلاً ، وفي أقبح أوقاته لا يفوق الحيوان الأعجم إلا بشيء يسير . والخيرة لي مع ترجيح السيئات على الحسنات ان أستغني عنه .

نريسا : لو انه اقترع في المقترعين وأصاب الصندوق الرابح، أفتأبينه لك بعلاً فتخالفي إرادة والدك !

برسيا : ضعي كأساً كبيرة من خمر الرين على الصندوق المقابل لذاك يترامَ اليها لا محالة ، ويؤخذْ بهذه الحيلة ، وإلا آثرت كل مصير أصير اليه في الدنيا على التزوج من إسفنجة !

نريسا : لا تخشي يا سيدتي أحداً من هؤلاء ، فقد علمت بعزمهم على العود إلى ديارهم ، وعدولهم عن الطموح اليك ، إلا إذا وجد موفق منهم وسيلةً لاكتسابك غيرَ القرعة التي أوصى أبوك بها .

برسيا : لو عشت أطعنَ في السن من السيبيل لمت أطهرَ في ملمس عفتي من ديانا، ولم أتزوج إلا على الطريقة التي اختارها أبي . انا مسرورة بما عند هؤلاء الخطاب من سرعة الإدراك، ممتنة لغيابهم جميعاً ، داعية ربي لتوفيقهم في السفر .

نريسا : ألا تذكرين يا سيدتي انك رأيت في حياة أبيك رجلاً متأدباً شجاعاً من أهل البندقية ، زاركم مع المركيز دي منفرات .

برسيا : بلى ، بلى، وكأنني أتفطن لاسمه ... باسانيو ... فيما أظن.

نريسا : أجل يا سيدتي ، وأحسبه أخلقَ من رأيت بأن تهواه امرأة جميلة .

برسيا : أذكره جيداً ، وهو جدير بمدحتك ـ (يدخل خادم) ـ إيهاً ، ما وراءك ؟!

الخادم : الأجانب الأربعة يلتمسون ان يروك للاستئذان بالرحيل . وجاء رسول من أمير مراكش يقول إن سيده سيفد الليلة .

برسيا : إذا قدر لي ان أتلقى الخامس بسرور يعادل سروري بوداع الأربعة الآخرين ، ابتهجت بقدومه ، على انه لو اجتمعت فيه بيضُ شمائل الأولياء إلى سواد وجه الشيطان لحبذته كاهناً ، ونبـــذْته قريناً ـ هلمي نريسا ـ (للخادم) انت تقدمنا . بينا نحن نقفل الباب في وجه خاطب، إذا خاطب غيره يقرع الباب .

(تخرجان)

المشهد الثالث

البندقية – ساحة عامة

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوقي – حسن بسن .

باسانيو : أجل يا سيدي لثلاثة أشهر .

شيلوخ : لثلاثة أشهر . حسن بسن .

باسانيو : بصك على أنطونيو كما أنبأتك .

شيلوخ : بصك على أنطونيو – حسن بسن .

باسانيو : أأعتمد عليك ؟ أتسعفني ؟ ما جوابك ؟

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوقي ، لثلاثة أشهر ، بصك على انطونيو !

باسانيو : ما قولك في هذا ؟

شيلوخ : أنطونيو كفءٌ لهذا القدر .

باسانيو : أعندك ريب ؟

شيلوخ : لا ، لا . إذا قلت انه كفء ، فالمعنى انه قادر على الوفاء . سوى ان مملوكاته ليست بثابتة. له سفينة في طريق طرابلس وثانية في طريق الهند ، وسمعت عن ثالثة تيمم المكسيك ، ورابعة تنحو نحو إنجلترا ، وعن سفن أُخر متوزعة في

آفاق أخر . غير ان المراكب ليست إلا خشباً ، والملاحين ليسوا إلا أناساً . دع أخطار الأمواج والأرياح والصخور. إلا أن الرجل كفء للوفاء . ثلاثة آلاف دوقي . أظن انني أستطيع قبول صكه .

باسانيو : تستطيع ولا شك .

شيلوخ : سأنظر فيما إذا كنت قادراً، وأفكر في الأمر قبل البتّ فيه أيتسنى لي ان أكلم انطونيو ؟

باسانيو : إن أحببت تناول العشاء معنا .

شيلوخ : نعم لتشتمّ مني ريح الخنزير ، وليدخل في جوفي ذلك الحيوان الذي دعـــا عليه نبيكم الناصري ، فأسكن فيه الشيطان، حباً لكم إن تكن بيني وبينكم مبايعة او مشاراة او محـــادثة ، او مماشاة الخ . اما المؤاكلة ، والمشاربة ، والمشاركة في الصلاة فلا . ما أخبار التجارة في المصفق ــ من القادم ؟

(يدخل أنطونيو)

باسانيو : السنيور انطونيو .

شيلوخ : (منفرداً) مـا أظهر الرفض على وجهه المرائي بالتقوى .

أبغضه لأنه نصراني، وخصوصاً لأنه جاهل أبله، يقرض المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد في البندقية . لئن أخذت بتلابيبه يوماً لقد شفيت حزازاتي القديمة منه . هو يبغض أمتنا المقدسة ويسخر ـ حتى في المصفق الذي يجتمع فيه التجار عادة ـ مني ومن معاملاتي ومن أرباحي المحللة التي ينعتها بالرِّبوية . لعنت عشيرتي إن كنت غافراً له هذه الذنوب .

باسانيو : أسمعت ما أقول ؟

شيلوخ : كنت أحسب ما بين يدي من النقود ، ويخيل إليَّ ـ إن صدقت ذاكرتي ـ انني لا أستطيع في الحال تجهيز ثلاثة آلاف دوقي كاملة . بل يخطر لي ان طوبال ـ وهو من أغنياء قومي ـ يجيبني إلى ما أطلب . لكن مهلاً ، إلى اي أجل ؟ (مخاطباً أنطونيو) عم صباحاً يا سيدي ، كنا في ذكراك .

أنطونيو : شيلوخ. إنني على كوني لا أقرض ولا أقترض بربح أجدني مضطراً الى مخالفة مالوفي قضاء لحاجة صديقي (إلى باسانيو) أيعلم المقدار الذي تطلبه ؟

شيلوخ : نعم ، نعم ، ثلاثة آلاف دوقي .

أنطونيو : لثلاثة أشهر .

شيلوخ : كنت قد نسيت . لثلاثة أشهر كما قلت آنفاً . بصكٍّ منك. حسن بسن . لننظر قليلاً . لكن أما سمعت انك لا تأخذ ولا تعطي بالفائدة .

أنطونيو : بلى ، والحق ما سمعت .

شيلوخ : عندما كان يعقوب يرعى سائمة [1] عمه لابان ـ ويعقوب هـــذا بفضل أمه الحكيمة هو الثالث من نسل سيدنا إبراهيم ...

أنطونيو : علام تستشهد به ؟ أفتزعم أنه كان يقرض بالربا ؟

شيلوخ : لا لم يكن مقرضاً بالربا . لم يكن ذلك ما يفعله بحصر المعنى ، وإنمـــا كان المتفق عليه بينه وبين لابان ان كل الخراف التي تنتج معلمة بلونين ، تجعل أجراً ليعقوب . فلما كان آخر الخريف وحالت النعاج ، فالتمست ذكورها، خطر لراعيها الفطن ان يقتطع قضباناً يعريها من قشورها ويضعها تجاه النعاج وقت ضرابها ، فنجم من رؤيتها ان

---

(١) سائمة : الماشية والابل الراعية .

النعاج نتجت حُملاناً مخططة الجلود بلونين، وهذه الحملان حقت ليعقوب. فهذه وسيلة من وسائل الكسب بارك الله ليعقوب فيها. وكل ربح ـ ما لم يجيء من السرقة ـ فهو حلال.

أنطونيو : كان يعقوب يخدم على كراء لا يسعه استزادته، ولا الانتقاص منه إلا ما يشاء الله وما لا يستطيعه أحد سواه. أفتعد هذا مثلاً مبيحاً للربا؟ وهل ذهبك وفضتك نعاج وكباش؟

شيلوخ : ما أدري، ولكنني أستنتجها بمثل تلك السرعة. تنبه لهذا يا سيدي!

أنطونيو : وانت يا باسانيو تفطَّن، إن الشيطان يستطيع الاستشهاد بالتوراة لتصويب أعماله! فما مثل النفس الشريرة التي تجيء بتلك الاستشهادات الصالحة إلا مثلُ المجرم الذي يبتسم؛ او الثمرة الناضرة التي لبها متعفن. ما أكثرَ الظواهرَ الخادعة التي تشبه الرذيلة بالفضيلة!

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوقي ـ مقدار جُسام. ثلاثة آلاف في اثني عشر؟ لننظر: ما تكون فائدتها؟

أنطونيو : مهما تكن.. أفتقضي حاجتنا؟

شيلوخ : ياسنيور أنطونيو طالمـــا صادفتني في مصفق الريالتو فسخرت من أعمالي المالية ومن مراباتي ، فلم أقابل ذلك إلا برفع الكتفين ، وجميل الصبر لأن الألم هو إحدى الآفات التي خصت بها أمتنا . وطالما نعتني بالكافر ، او الكلب الكلِب ، وبصقت على عباءتي التي يعرف منها الناس يهوديتي ، كانك تعيبني لاستعمالي ما هو ملكي . اما الآن فيظهر انك في حاجة إليّ : « شيلوخ نريد منك نقوداً » ، من يقول لي هذا ؟ انت يا من ينفث في لحيتي لعـــابه ، ويطردني من حضرته ركلاً ، كما يطرد الكلب الأجنبي من عتبة البيت . تطلب مني مالاً ! فيم ينبغي ان أجيب ؟ أيحرز الكلب نقوداً ؟ أيعقل ان كلباً يقرض ثلاثة آلاف دوقي ؟ ام يتعين عليّ ان أخرّ الى الذقن ، وان أردّ عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع : « يا مولاي الجميل ! يوم الأربعاء المنصرم بصقت في وجهي ، ويوماً قبله طردتني ضرباً برجليك ، ويوماً قبله دعوتني بكلب ، فقياماً مني بحق تلك المكارم كلها سأقرضك نقوداً » ؟!

أنطونيو : من المحتمل انك ستجدني مسمياً لك بتلك الأسماء ، او باصقاً في وجهك ، او طارداً إياك برجلي ، فإن كنت راغباً في

إقراضنا المال فلست دائناً به أصدقاء ، وأنّى للصداقة ان تتولد من حيث لا رحم ؟ انت تقرض عدواً ، فإذا أبطأ عن الإيفاء في الأجل ، كنت في حلٍّ من تَحْـريط القانون عليه بكل قوته .

شيلوخ : انظر كيف تستشاط . أريد ان أكون صديقاً لك، وان أحصل على عطفك، وان أنسى ازدراءك إياي، وان أقضي حاجتك الراهنة ، بلا تقاضي فائدة ما ، وانت تأبى سماع ما أعرضه عليك من جميل العرض .

أنطونيو : لو فعلت لبالغت في الإجمال .

شيلوخ : سأثبت لك مجاملتي ـ لنذهب إلى محرر عقود فتخطّ الصك لديه ، ومن باب المزاح سأستكتبك إقراراً بانك إذا لم تدفع زُهاء ذلك الخط في يوم كذا بمكان كذا توجب لي عليك اقتطاع لبرة من لحمك في المكان الذي أختاره من جسمك...

أنطونيو : أوافق بارتياح على هذا الاقتراح، وسأوقع على الصك محرراً بهذا النص ، شاكراً لك هذه المجاملة اليهودية .

باسانيو : لن تخط خطّاً كهذا لأجلي أبد الدهر !

أنطونيو : لا تخشَ باساً يا صفيّـي ، ساقوم بعهدي ، فبعـد شهرين ، اي قبل الأجل بشهر ، تردُني أوْساق [1] بثلاثة أضعاف هذا القدر .

شيلوخ : يا أبانا إبراهام ! هؤلاء النصارى عجب أمرُهم . ساءت فعالهم فقبحتْ بالناس ظنونهم . انت مخبري ماذا أكسب من إنفاذ هذا الشرط إذا لم يف المدين بما عليه . الرطلُ من لحم رجل أقل قيمةً من رطل الضأن او البقر او الماعز . إنما أفعل هذا توسلاً به إلى مودته ، فإن رضي فبها ونعمتْ ، وإلا فأستودعكم الله راجياً ألا تبتغوني بشرّ من حيث أردت لكم الخير !

أنطونيو : أجل شيلوخ ، ساوقع على هذا الصك .

شيلوخ : فتفضل وانتظرني لدى محرر العقود ، وقل له : ان يخطّ هذا الشرط المضحك . اما انا فأمضي لجلب الدوقيات وإلقاء نظرة في بيتي الذي يحرسه ماهنٌ [2] مكسال ، لا ينبغي لرب البيت ان يستنيم لهمته ، ثم أدركـكم .

(يخرج)

---

(١) أوساق : أحمال . (٢) ماهن : خادم ، عبد .

الفصل الثاني

المشهد الأول

بلنسنت – قسم في قصر برسيا

(يدخل أمير مراكش مع أتباعه وبرسيا مع أتباعها ونريسا)

(معازف)

الأمير : لا تنفري من سمرة أديمي ، فإنها مَسحة من جوار الشمس لي في مسقط رأسي . على أنك لو جئتني بأبهى رجل من أهل هـذه الأقاليم الشمالية التي لا تكاد أشعة النهار تذيب صَقيعها لواقفته موقف الفِصاد ، وأشهدتك من منّا دمه أشد احمراراً ؟ ثم اعلمي يا سيدتي ان رؤيتي طالما أرعدت الشجعان ، كما أنها ـ وحبك ـ طالما كانت قيدَ الأوابد من الحسان في أوانس بلادي . ولئن حداني شيء على التبدل

بلون مُشْرِقٍ من لوني القاتم لما كان إلا ابتغائي رضاك يا مليكتي !

برسيا : لن أجعل إيثاري قائماً على ما تشهد به عيناي، وأنا في عهد طفولتي واغتراري ، بل انا تابعة لحكم القرعة دون اختياري ، ولولا أني مقيدة بهذا القيد إنما جعلت به زوجاً للموفق في فطنته ، لما كان بين الخطّاب الذين رأيتهم واحد أولى منك بعطفي .

الأمير : هذا كثير وأشكره لك ... ثم أستزيدك جميلاً : ان تدلّيني على موضع تلك الصناديق،فأتبين بختي . حلفت بهذا الحسام الذي قتلت به صوفيّاً وصرعت أميراً أعجمياً، وأحرزت النصر العزيز في ثلاث وعكات،جرت بيني وبين السلطان سليمان ، لو اقتضاني غرامي ان أردّ كل سامي الطرْف ناكس البصر ، او ان أكافح كل قرم [1] عنيد قهار شديد ، بل لو سامني انتزاع رضيع الوحش الضاري عن ضرع أمه،او مناوأة الضيغم المصور وقد استفزه القرم ، لفعلت طمعاً في الظفر بك ، ولكنه ــ واحرَبا ــ أمر منوط بالمقادير ،

---

(١) قرم : سيّد ، عظيم .

والمقادير ربما سددت سهم الضعيف وأطاشت سهم القدير ، وربما أدنت حظّ الآجر وأعلت حظ الأجير ، فههنا مجال المكره ، لا البطل ، وإني لأخشى ان أخفق حيث يفوز من هو دوني فأموتَ بشجوني .

برسيا : أمامك اثنان لا ثالث لهما ، إما ان تعدل وإما ان تصيب ما يقضي به لك الصندوق الذي تعيّنه ، هذا بعد ان تقسم على انك إن أخفقت لم تتخذ لك زوجاً بقية عمرك . تفكر ثم تخير .

الأمير : رضيت بهذين الشرطين. لنمض فاعلمَ ما يقضي به طالعي.

برسيا : بل نذهب أولاً الى حيث تحلف يمين الموافقة ، وبعد العشاء تشرع في الخيرة .

الأمير : أسأل الله إنجاح قصدي فإني بعد هذا الاقتراع : إما أسعد الخلق ، وإما أتعسهم .

المشهد الثاني

البندقية — جادّة

(يدخل لنسلو جوبو)

لنسلو : ضميري يحتم عليّ ان أترك خدمة اليهودي مولاي. والشيطان على مقربة مني، يخادعني بقوله: جوبو، لنسلو، يا صديقي لنسلو ، او صديقي جوبو ، او يا صفيّي لنسلو جوبو ، أعملْ فخذيك ، وانجُ بنفسك. ثم يقول لي ضميري : حذار يا لنسلو النزيه، حذار يا جوبو المستقيم ، او كما كنت أقول آنفاً : ايها النزيه لنسلو جوبو لا تبرح ، وترفع عن إجهاد فخذيك في الهزيمة . إلا انه — اي الشيطان — لا يلبث ان يعيد عليّ نصيحته بالارتحال متشدداً فيها مهيباً لي: « أقلع. تشجع . أنجُ بنفسك » . عندئذ يعلق ضميري برقبة فؤادي ، ويقول لي عن حكمة : « يا صديقي لنسلو القويم. ابن الرجل المستقيم وابن المرأة المستقيمة » — ذلك ان والدي كان يذوق الثمرة التي بين يديه ولا يخلو من سلامة في

الذوق . عندئذ يقول ضميري : « البث لنسلو » ، فيقول الشيطان : « فراراً » فيقول الضمير : « إيـاك » فأقول لأحدهما : « يا ضميري حسنت نصيحتك ». ثم أقول للآخر: « ايها الشيطان اين الصواب من مشورتك » . لو جاريت الضمير لأقمت مع اليهودي الذي هو ـ أستغفر الله ـ ضرب من الشيطان ، ولو فارقت اليهودي لأصبح زمامي في يـد الشيطان الذي هو ـ ولا مؤاخذة ـ الشيطان بعينه ، او هذا اليهودي بشخصه . وبذمتي إن ذمتي لتركب الشطط حين تنصح لي بالمكث عند اليهودي . إنمـا الشيطان هو الذي ينصح لي نصيحة الصداقة . سافرْ ، سافرْ . أمرك مطاع ايها الشيطان !

(يدخل جوبو العجوز حاملاً سلالاً)

جوبو : يا سيدي الفتى ، اين الطريق التي توصل الى بيت اليهودي؟

لنسلو : (منفرداً) يا لله ! هـذا ابي ، والدي بالحلال ولم يعرفني لشدة حسَره ! سأختبره اختبارَ مداعبة .

جوبو : يا سيدي الفتى ، اين الطريق التي توصل الى بيت اليهودي؟

لنسلو : عندما تصل الى العطفة الأولى تحيد يميناً،فإذا بلغت العطفة

الثانية تحيد شمالاً ، ثم تدرك العطفة الثالثة ، فهناك لا تحيد
الى جهة من الجهات وتتجه بانحراف الى بيت اليهودي .

جوبو : يا فيض الله ، هذه طريق لا تسهل معرفتها . أأنت مخبري إن كان الفتى مقيم معـه ـ واسمه لنسلو ـ مقيماً معـه ام لا ؟.

لنسلو : أتسال عن المسيو لنسلو الأصغر (منفرداً) تأملو فيّ الآن سأستدرّ المياه ـ أتسال عن المسيو لنسلو الفتى ؟

جوبو : لا يا سيدي ، ولكن عن ابن رجل فقير انـا ابوه ـ وإن كنت انا مدّعي هـــذه الدعوى ، رجل مستقيم معسر ، مدْقِعٌ ، لكنه ـ بحمد الله ـ حسن السيرة والأخلاق .

لنسلو : لا يهمنا ابوه كائناً من كان ، وإنما نتكلم على لنسلو الأصغر.

جوبو : اجل ، بإذنك نتكلم على لنسلو .

لنسلو : لا تتكلم على لنسلو ايها الشيخ بعد الآن ، فإن ذلك الشاب قد أذن به الدهر او القـــدر او اي مسمى آخر بأسماء الصروف الصارمة لحبال الآجال من علمية وغير علمية فمات موتاً ، او بعبارة أشيـع في العامة ذهب الى السماء .

جوبو : اعفاني الله من هذا المصاب ، فالفتى هو سندي ، وحيدي عكاز شيخوختي .

لنسلو : أظاهر عليّ انني أشبه عصاً او هراوة او دعـــامة خيمة
أتبينتني يا أبي ؟
جوبو : لا يا سيدي الفتى ، لكن أرجو ان تقول ولدي (رحمه الله)
حيّ ام ميت .
لنسلو : ألم تعرفني يا أبتِ ؟
جوبو : أسفاً يا سيدي إن نظري ضعيف ولم أتبيّـنك .
لنسلو : لو كان بصرك سليماً ... ومن هو في الآباء ذلك الفطن الذي
يعرف ابنه ... ايها الشيخ . ساعلمك بانباء نجلك . باركني
(يجثو) ينبغي ان يبرح الخفاء. القتل لا يخفي دهراً ولكن
انتساب الولد لأبيه قد يستتر طويلاً ثم تنجلي الحقيقة .
جوبو : أرجو يا سيدي ان تنهض ، فإني موقن انك لست بلنسلو
ولدي .
لنسلو : لا تتماد أكثر في هذا المزاح ، باركني، انا لنسلو غلامك سابقاً
ونجلك الآن ، وابنك إلى الأبد .
جوبو : لا أصدق انك ابني .
لنسلو : لا أدري ما الذي يحسن بي اعتقاده في هذا المعنى ، لكنني
انا لنسلو الماهن لدى اليهودي، وعلى ثقة لا ريب فيها من ان
امرأتك مرغريتا هي أمي .

جوبو : اسمها في الحقيقة مرغريتا ، غير اني لم أكن لأقسم انك لنسلو من لحمي ودمي . تبارك الله ما هذه اللحية التي صار الشعر فيها أكثر منه في ذنب « دوبين » حصاننا الجرار .

لنسلو : إذن شعر دوبين ينمو خلافاً ، لأنني في آخر ما رأيته كان الشعر في ذنبه أكثر منه في ذقني .

جوبو : لقد تغيّرتْ . كيف حالك مع مولاك ـ انا قادم اليك بهدية أعلى وفاق انتما ؟

لنسلو : على المرام ، على المرام . لكنني انا قد عزمت على الهزيمة إلى أبعد ما أستطيع عن ذلك اليهودي القحّ . أتهاديه ؟ أولى لك ان تضع حبلاً في عنقه وتشدّه . أماتني جوعاً ، وهذه أضلاعي تقدر ان تعدّها بأصابعك . يا ابت انا مسرور بمجيئك . آثر بهديتك سيداً يدعى باسانيو . فإنه يلبس خادمه خلعاً فاخرة نفيسة، فإن لم يتيسر لي ان يستخدمني هذا السيد ، لبثت أفرّ ما دام في الأرض طول وعرض . يا لسعد طالعي ! ها هوذا آت بنفسه. كلّمه يا أبي وإلا فإني إذا استمررت تحت أمر اليهودي صرت يهودياً .

(يدخل باسانيو يليه ليوناردو وبعض خدم)

باسانيو : (مخاطباً خادماً) ليكن . قبلت . لكن ينبغي الإسراع ليتسنى تهيؤ الطعام الساعة الخامسة . احرص على إيصال هذه الرسائل . أوص بالخلع الجديدة . قل لغراتيانو ان يجيئني بعد حين .

لنسلو : كلمه يا أبي .

جوبو : ليبارك الله في سيادتك .

باسانيو : شكراً جزيلاً . أتبغي مخاطبتي في شيء ؟

جوبو : هذا غلامي يا سيدي ، وهو غلام فقير .

لنسلو : لست فقيراً يا سيدي ، ولكنني ماهن لدى اليهودي الغني ، وملتمسي هو ما سيعرضه والدي لسيادتك .

جوبو : هو مريض تشوقاً لخدمة ...

لنسلو : بلا تطويل ولا تقصير ، انا في خدمة اليهودي ، وأتمنى ما سيعرضه أبي ...

جوبو : ولا يخفى على سيادتكم ان اليهودي وهذا الغلام ليسا بابني عم ، بمعنى انه ...

لنسلو : بعبارة موجزة : اليهودي أساء التصرف في حقي ، وهذا هو السبب في الأمر الذي سيقترحه والدي الذي هو ـ كما أرجو ـ طاعن في السن !

جوبو : انا حامل الى سيادتك بضعة أزواج من الحمام ، هل لك في قبولها ؟ والتماسي هو ...

لنسلو : الخلاصة ان هذا الطلب جائز القبول، كما سيذكره لسيادتك هـــذا الشيخ المستقيم ، الذي هو فقير ، وفوق ذلك هو والدي ...

باسانيو : ليتكلم أحدكما عن الآخر . ماذا تريدان ؟

لنسلو : ألتمس الدخول في خدمتك يا سنيور .

جوبو : هذا كل ملتمسنا .

باسانيو : (إلى لنسلو) أعرفك جيداً وأجيب طلبك . كان شيلوخ يكلمني عنك في هذا اليوم ، وسيكون له الفضل في رقيك إن كان من الرقي الانصراف عن خدمة يهودي موسر ، إلى خدمة شريف معسر .

لنسلو : صدق المثل القديم : لقد تقاسمتما النعمتين انت وشيلوخ : له الأولى ، ولك الأخرى .

باسانيو : صدقت (إلى جوبو)اتبع غلامك ايها الوالد الصالح (إلى لنسلو) اذهب فاستأذن مولاك السالف ، ثم استفهم عن داري (إلى خدمه) ألبسوه خلعة أبهج زينة من خلع رفاقه ... (يناجي ليوناردو) .

لنسلو : يا أبي أصبح الخَرْج في الخُرج انا لا أعرف كيف تلتمس الخدمة ، ولا كيف يستعمل اللسان (ناظراً يده) أما يدي فاية يد ممتدة للقسم على التوراة في جميع إيطاليا تتشبه بها ؟ ساكون سعيد الطالع ... لا جرم . هذا الخط يدل على طول البقـــاء كما أرجو . وهؤلاء ، في جانب الزواج ، نسوة شائقات ، لكنهن لسن بكثيرات ، وماذا تكون ؟ خمس عشرة امرأة ، وإحدى عشرة أيِّماً [1] وتسع بنات . هل هنّ زيادة عن الكِفاء للرجل المستقيم. هذا عدا نجاتي ثلاثَ مرار من الغرَق. ومرة من هلكة السقوط عن حافة فراش من الريش . على ان هذه النجاة الأخيرة ليست بعجيبة ، ولكنها نجاة . ولئن كانت السعادة امرأة فلا شك انهـــا أحسنت عجن المادة التي فتلت لي منها هذه الخيوط . تعال يا أبي ، سأستأذن اليهودي في طرْفة عين .

(يخرج لنسلو وجوبو)

باسانيو : (مخاطباً ليوناردو) أتضرع اليك أيها العزيز ليوناردو. تنبه لهذا ، ومتى اشتريت تلك الأشياء ورتبتها عُدْ وشيكاً ،

---

(١) الأيم : من فقد زوجته أو من فقدت زوجها .

ليتم بك أنسنا الليلة ، في مجلس شراب سيشهده عندي أكرم أصدقائي . اذهب . بادر .

ليوناردو : سآتي بأحسن ما أستطيع . (يدخل غراتيانو)

غراتيانو : (مخاطباً ليوناردو) اين مولاك ؟

ليوناردو : ها هو ذا يتمشى هناك (يمضي ليوناردو).

غراتيانو : (جهراً) سنيور باسانيو ...

باسانيو : (ملتفتاً) غراتيانو .

غراتيانو : لي اقتراح عليك .

باسانيو : قد أجيب .

غراتيانو : ذلك ما ألحّ به : ساصحبك إلى بلمنت .

باسانيو : إذا أصررت لم أخالف،لكن سمعاً يا غراتيانو : من مألوفك أن تتكلم بلا احتراس ، وتجهر بالصوت . فهذا ليس بعيب فيما بيننا،ولكن ربما لم يحسن حيث تكون مجهولاً ـ فتكرّم ولطّف حدة طبعك ، بأن تضع فيها بعض نقط من الاحتياط ، والتواضع ، وإلا فربما جلبت خطتك عليّ ما يضر بي في رأي الأناس الذين أقصدهم ، بل ربما قوّضت آمالي .

غراتيانو : أنصت يا سنيور باسانيو: إذا لم تجدني ثمة معتدلاً في سيري،

متكلماً بوداعة ، ممتنعاً عن ألفاظ الهجر إلا أحياناً ، ممسكاً بكتب الأدعية والتّلاوات الدينية ، جادّاً في كل مقام ، جاعلاً في أوان الصلاة قبعتي نصبَ عينيّ هكذا ، فمتنهداً ، فقائلاً : آمين ، مراقباً كل مصطلحات الأدب على نحو ما يفعل اليافع الذي يحاول إرضاء جدته ... إذا لم تجدني فاعلاً كل ما ذكرت فلا كانت لك بي ثقة ، ولا كان لك عليّ معوّل .

باسانيو : رضيت ، وسأرى المنهج الذي تنهجه .

غراتيانو : لكنني أستثني مجلس الليلة وما سيجري فيه .

باسانيو : خسارةٌ في مثل هذه الليلة ان تفقد طلاقتك ، بل ينبغي ان ترتدي أحسن أزياء الابتهاج فيكتملَ بك سرور الإخوان أفضل ما كانوا استعداداً لذلك . سأتولى عنك الآن لقضاء بعض الشؤون .

غراتيانو : وانا أنتظر هنا لورنزو ورفقاءه ثم نجيئك جميعاً في ساعة العشاء .

المشهد الثالث

نفس المدينة – مزارة في بيت شيلوخ

(تدخل جسيكا ولنسلو)

جسيكا : انا متكدرة لتركك أبي ، وستكون لك وَحشة في هذا البيت الجهنمي، الذي كنت تؤنسه أحياناً . امض مزوّداً، وهذا دوقيّ هبة . لنسلو سترى لورنزو بين مدعوي سيدك الجديد للعشاء فأعطه هذه الرسالة ، لكن سرّاً . اذهب . لا ينبغي ان يراني أبي أحدثك .

لنسلو : وداعاً ، واليك هذه العبرات بدلاً من العبارات . يا لك من وثنية ساحرة ، بل يهودية شائقة ! لئن لم يكن واحد من هؤلاء النصارى ساعياً مسعاة اللص للفوز بك ، إني إذن لغرّ . لكن هذه الدموع قد استغرقت شجاعتي ، وأذابت صلابتي . أستودعك السلامة (يخرج) .

جسيكا : (منفردة) اذهب معافى يا لنسلو . ما أظلمني لأبي بخجلي من انتسابي اليه ! لكنني مخالفة له في الطبع ، وإن كان الدم واحداً . اي لورنزو إذا صدقت بوعدك فررت اليك من

هذا المعترك الأليم ، فصبأت [1] عن ديني ، وبت على مذهب قريني (تخرج) .

المدينة عينها – جادّة

(يدخل غراتيانو – لورنزو – سالارينو – سالانيو)

لورنزو : أجل سنتسلل في أثناء الوليمة فنغير أزياءنا في داري، وبعد ساعة نعود .

غراتيانو : لم نستوف أهبتنا .

سالارينو : لم نتكلم بعد عن موكب المشاعل .

سالانيو : بئس الاختراع،إلا إذا صفف بإبداع، وعندي ان الاستغناء عنه أفضل .

لورنزو : الساعة إنما هي الرابعة الآن ولدينا فسحةُ ساعتين لإعداد كل شيء .

(يقدم لنسلو بكتاب)

لورنزو : (متمماً) ما أخبارك يا صاحبي لنسلو ؟

لنسلو : إن شئت ان تفتح هذا الكتاب علمت .

(١) صبأ : خرج من دين إلى دين آخر .

لورنزو : تبينت الخط ، وهو جميل ، حررته يد بيضاءُ أنصع من هذا الطرْس .

غراتيانو : ألوكة [1] غرام ولا ريب .

(لنسلو متأخراً للانصراف)

لنسلو : بإذنكم يا مولاي .

لورنزو : إلى أين !

لنسلو : إلى حيث اليهودي مولاي العتيق ، أدعوه لتناول العشاء عند النصراني مولاي الجديد .

لورنزو : (معطياً إياه كيساً) مهلاً ، خذ هذا . قل للعزيزة جسيكا إنني سآتي في الميقات . قل لها ذلك سرّاً . انصرف .

(يبتعد لنسلو)

لورنزو : (متمماً) أيها السادة: أتريدون ان نتاهب لمهرجان السخرية في هذا المساء ؟ قد تيسر لي حامل مشعل .

سالارينو : سأمضي من فوري .

سالانيو : وانا أحذو حذوك .

لورنزو : أدركاني وغراتيانو في دار اليهودي بعد ساعة .

---

(١) ألوكة : بمعنى حديث ، رسالة .

سالارينو : لن نتخلف .

(يبتعد سالارينو وسالانيو)

غراتيانو : ألم يكن الكتاب من جسيكا الجميلة ؟!

لورنزو : يجب ان أطلعك على كل سر. بعثت تسالني كيف أختطفها من بيت أبيها ؟ وكيف تنجو بما ستحمله من الذهب والحجارة الكريمة ؟ وتخبرني انها استصنعت خلعة وصيف لتختفي بها على الرقباء . لو تقبل الله أباها يوماً في السماء ، لتم له ذلك بشفاعة تلك الكريمة الحسناء،ولو استجاز مصاب ان يعترض سبيلها لما ترخّص لذلك إلا من كونها ابنة يهودي بلا إيمان . هلمّ بنا واقرأ هذه في الطريق . ستكون جسيكا حاملة مشعلي .

(يخرجان)

المشهد الخامس

البندقية ـ أمام بيت شيلوخ

(شيلوخ ولنسلو)

شيلوخ : ستري عما قليل بعينيك سعة الفرق بين شيلوخ العجوز وباسانيو (يدعو) جسيكا ـ لن تأكل الحلوى بشراهة كما كنت تحلو لي عندي ـ جسيكا ـ لن تقضي معظم وقتك في النوم والغطيط وتمزيق ثيابك ـ جسيكا أتحضرين ؟

لنسلو : (منادياً) جسيكا .

شيلوخ : من كلفك ان تدعوَها ؟

لنسلو : طالما وبختني لأنني لا أصنع شيئاً إلا بامر .

(تجيء جسيكا)

جسيكا : أتدعوني ، ماذا تريد مني ؟

شيلوخ : ساتعشى اليوم خارجاً يا جسيكا . هذه مفاتيحي . لكن علام أذهب ؟ لم يدعوني عن حب ـ مأربٌ لا حفاوة ـ بل أذهب انتقاماً منهم لآكل من نفقة ذلك النصراني المسرف. بنيّتي جسيكا راقبي الدار . سأتغيب برغمي خائفاً

من كيد يكاد لي، لأنني رأيت أكياس فضة في منامي أمس.

لنسلو : أضرع اليك يا سيدي ان تذهب ، فإن مولاي الجديد قد عوّل عليّ وعدك .

شيلوخ : وانا معوّل على وعده كذلك .

لنسلو : ولقد أضمروا شيئاً لهذه الليلة، وأسرّوا النجوى فيما بينهم. لن أبوح بما أخفوه ، لكنك إذا رأيت الليلة مهرجان أناس متنكرين لم يكن ذلك إلا مصداقاً لرُعاف أنفي يوم الاثنين المنصرم المعروف في التاريخ باليوم الأسود في الساعة السادسة صباحاً ، على حين ان الرعاف الذي جرى لي قبله إنما كان في يوم أربعاء الرّماد نحو الأصيل .

شيلوخ : سيتنكرون ؟ اسمعي يا جسيكا . غلّقي الأبواب بإحكام وإذا سمعت طبلاً وزمراً نزاز النغم فحذار ان تذهبي إلى الكوّة ، او ان تطلي بوجهك على الجمهور لتري الوجوه المستعارة التي يطوف بها أولئك النصارى البلهاء . أقفلي آذان داري « النوافذ » ، ولا تصل ضوضاء أولئك المجانين إلى بيتي الساكن الأمين . قسماً بعصا يعقوب إنني ذاهب في هذا المساء إلى تلك الوليمة بكرهي وبلا أدنى رغبة مني لكنني سأذهب (إلى لنسلو) اسبقني وقل إنني قادم .

لنسلو : سأسبق يا سيدي (بصوت منخفض جسيكا) لا يمنعك هذا من التطلع فربما جاءك نصراني موعود ، خليق بمودة كرائم اليهود (ينصرف) .

شيلوخ : ماذا يقول هذا الغر من نسل هاجر ؟

جسيكا : قال وداعاً يا مخدومتي ولم يزد .

شيلوخ : غلام لا بأس به . لكنه أكول نهم بطيء في العمل ، نؤوم كالسنور البريّ ، انا لا أحب الزنابير في خليتي ، ولهذا طبت عنه نفساً لغيري، فليعن مولاه الجديد على إنفاق المال الذي أقرضه إياه بسرعة . عودي يا جسيكا ، ولعلي لا ألبث ان أرجع . افعلي ما أوصيتك به . غلقي الأبواب . « من احتبس ، لم يحترسْ » ! هـذا مثل دائم الحضور في ذهن المقتصد (يبتعد) .

جسيكا : أستودعك الله. ولئن تحقق ما نويت لقد فقدت أبي وفقدت انت ابنتك (تبتعد) .

المشهد السادس

عين المكان

(يدخل غراتيانو وسلارينو متنكرين)

غراتيانو : هذا هو الرواق الذي أوعز الينا لورنزو ان ننتظره في فيئه

سالارينو : مضت الساعة او كادت .

غراتيانو : عجيب ان يتباطأ وما هذا شأن العاشقين ؟

سالارينو : من غادة حمائم الزّهرة ان يطرنَ إلى عقد مودات جديدة بأسرع مراراً مما يجشمن للبقاء على مودة قديمة .

غراتيانو : ستكون الحال أبداً هكذا : اي الضيوف وقد فارق المائدة تكون شهوته للطعام كما كانت حين جلوسه اليها ؟ اي جواد إذا رُدَّ في الطريق الوعرة التي جازها من قبل ، لا يتباطأ في الرجوع ؟ في كل أمور هذه الدنيا نحن أنشط حين نسعى إلى المطلوب منا حين نتمتع به ، أنظر إلى الفُلك إذ تفارق مرفأها الأصلي فراق الولد الشاطر لبيت أبيه ، فتنشر رايتها الزاهية الألوان ، يداعبها الهواء دعاب الهوى ، ثم انظر اليها تعود عودَ ذلك الولد الشاطر ملويةَ الأضلاع

ممزقة الشراع مهدمة الجوانب بفعل النسيم الفاسق (يجيء لورنزو) هذا لورنزو سنستأنف الكلام في هذا .

لورنزو : يا أصدقائي الأعزاء ، اغفروا لي ابطائي الممل ، فإنما أعمالي التي سببته . وإني لأعدكم ، بأن أنتظركم ما شئتم حين يخطر لكم ان تختطفوا عرائس (يتقدم) هذا بيت اليهودي نسيبي هيا ، أأحد هنا !

جسيكا : (بملابس الوصيف تنظر من النافذة) .من أنت ! تسمّ لأزداد طمانينة ، وإن عرفت الصوت .

لورنزو : حبيبك لورنزو .

جسيكا : لورنزو محقق ، حبيبي بلا ريب ، ألي عندك من الهوى ما لك عندي ؟

لورنزو : السماء وقلبك يشهدان بصدق غرامي .

جسيكا : (ملقية صندوقاً) تناول هذا الصندوق. فيه ما يستحق هذا العناء . انا فرحة بأن الوقت ليل ، وأنك لا تستطيع رؤيتي ، لأنني خجلة من تنكري بهذا الملبس . إنما الغرام أعمى ، وليس للمتحابين ان يروا هم آثار جنونهم ، إذ لو قدروا على استجلاء الحقيقة لخجل الغرام نفسه من تشكلي بهذا الشكل .

لورنزو : انزلي فقد جعلتك حاملة مشعلي .

جسيكا : ما تقول ؟ أبيدي أحمل النور الذي يكشف فضيحتي ، على كونها أجدرَ بالإخفاء لشدة وضوحها. لا بد لي من الاستتار.

لورنزو : حسبك استتاراً يا حبيبتي في ثوب الوصيف ، أسرعي لأن الليل يتقدم ونحن منتظرون في وليمة باسانيو .

جسيكا : سأقفل الأبواب وأجلب ما أستطيعه من الدوقيات .

(تتوارى من النافذة)

غراتيانو : حلفت بقبعتي إنها لطيفة وليست يهودية .

لورنزو : أقسم لكم إنني أحبها بكل جوارحي، لأنها حصيفة متبصرة ـ على ما أستخلص ، ولأنها جميلة ـ على ما أرى ، ولأنها مخلصة ـ على ما تبينت ، فبالنظر إلى كونها فتاة عاقلة حسناء طاهرة ، قد أقررت منزلتها في قلبي مدى العمر (تحضر جسيكا) سرعان ما حضرت . لننصرف يا سادة . إن إخواننا المتنكرين ينتظروننا .

(يذهبون إلا غراتيانو ويحضر أنطونيو)

أنطونيو : من الشخص ؟

غراتيانو : ألست السنيور أنطونيو ؟

أنطونيو : أف يا غراتيانو! أين الآخرون.الساعة التاسعة .وأصدقاؤنا في الإنتظار . ستتلف زينة الليلة لأن العواصف هبت وباسانيو مبحر بعد هنيهة ، وقد أرسلت عشرين نفساً في طلبكم .

غراتيانو : حبذا ما تبشرني به فلا شيء أحب إليّ من الإقلاع ، ولو في مثل هذا الليل .

(ينصرفان)

المشهد السابع

بلمنت – مزارة في قصر برسيا

(صوت معازف – تدخل برسيا وأمير مراكش وتبعهما)

برسيا : لترفعْ هذه الستارة،وليدلل هذا الأمير النبيل على الصناديق الثلاثة (يرفع الحجاب وتظهر الصناديق ، أحدها ذهب،والثاني فضة ، والثالث رصاص) الآن تخيـّر .

الأمير : (متأملا) الأول من ذهب ومكتوب عليه :

من اصطفاني فقدماً   تمنت الناس وصلي

الثاني من فضة ومكتوب عليه :

من انتقاني فإني أهل له وهو أهلي

الثالث من رصاص ومكتوب عليه :

من ابتغاني فاعزز بما يهين لأجلي

كيف أعلم أنني أحسنت الانتقاء ؟

برسيا : أيها الأمير في أحد هذه الصناديق رسمي ، فإن اهتديت إلى الصندوق الذي هو فيه فإني لك .

الأمير : لينطقني الله بالصواب . سأعيد قراءة الأبيات المنقوشة بادئاً من أخيرها :

من ابتغاني فاعزز بما يهين لأجلي

علامَ المجازفةُ بكل شيء : أللحصول على رصاص ؟ هذا الصندوق مشؤوم الطالع . الرجل الذي يخاطر بكل شيء جدير بأن يتطلب من وراء ذلك فوائد وافية. النفس العالية لا تتدانى لالتماس مثل هذه المادة المستخسة . ماذا يقول صندوق الفضة ؟

من انتقاني فإني أهل له وهو أهلي

قف قليلاً يا أمير مراكش . زن قيمتك وزِنْ إنصاف . لو رجعت في الحكم إلى ما تقوّم به نفسك لأغليت . ولكنك

مهما تغالِ ، وتكن على حق ، فربما لم تكن بالغاً من القدر ما يؤهلك لهذه الغيداء ، على أنني لو نظرت من جهة أخرى لما جاز لي الارتياب في قدري ، ولا الإزراء على نفسي . ما أستحق ؟ انا كفءٌ لهذه الحسناء بمحتدي[1] وبجاهي، وبجمال ملامحي ، وأدبي ، وخصوصاً بحبي . لعل الهدى في وقوفي ههنا ؟ بل لنقرأ ما على صندوق الذهب :

من اصطفاني فقدما   تمنت الناس وصلي

معناه ان كل إنسان يتمنى ربة هذا القصر ، وان الخطّاب من كل أطراف الدنيا يسعون لتقبيل الوعاء المشتمل على هذه الحوراء الدنيوية. فمن جهة قد تحولت فدَافدُ[2] أركانيا وفيافي بلاد العرب إلى مسالك يسلكها الأمراء قادمين من كل صوب لمشاهدة جمال برسيا، ومن جهة ثانية قد أصبحت مملكة الماء التي تشمخ بأمواجهن إلى السماء غيرَ مانعة من توافد الأجانب يجوزونها كما تجاز الأنهار الصغرى، ليشاهدوا جمال بُرسيا. في أحد هذه الصناديق الثلاثة رسمها المعشوق،

---

(١) محتدي : أصلي ، شرفي .

(٢) فدافد : المكان الغليظ ، المرتفع .

أيحتمل كونه في صندوق الرصاص ؟ من الإثم هذا الظن . وذلك الجسم لا يليق ان يوضع ، حتى بعد الوفاة ، في مثل هذا المعدن الحقير . أفيكون الرسم إذاً في الفضة ، وقيمة الفضة أقل عشرة أضعاف من قيمة الذهب الخالص . وهل يعقل ان توضع لؤلؤة غالية هذا الغلاء في شيء أدنى من الذهب ؟ توجد في إنجلترة سكة مصور عليها ملك ، ولكن الملك على ظاهرها، أما ههنا فالملك في ضمن مهد من الذهب. أعطوني المفتاح قد استخرت الله .

برسيا : هذا مفتاحه يا أمير ، فإن كان رسمي فيه فإني جاريتك .

الأمير : (بعد فتح صندوق الذهب) ـ يا للعنة ! ماذا أرى ؟ هيكل ميت ! وفي عينه الفارغة قرطاس؟ لنقرأ ما في القرطاس:

قل كائناً من كنت عن ثقة
ما كل براق من الذهب
عظة هي الكنز النفيس فلا
بدع إذا ثبتت على الحقب
لو كان رأيك غير مختلط
في حين شعرك غير مختضب

ما عدت هذا العود في ندم
وبمثل هـذا الرد لم تُجَب

(بعد قراءة الأشعار يقول متمماً)

لقـد أضعت وقتي . وداعاً أيها الغرام المحرق ! سلام عليك أيها القلب الذي لا يكترث ! لقد أثخنت جراحي يا برسيا ، ولكن لا أطيل العتـاب ، بل أنصرف كما يليق بمن قامر فخسر . (يخرج)

برسيا : لقد نجونا منه والحمد لله . أسدلوا الأستار ، ولا كان اختيار مشاكليه في اللون إلا كاختياره .

المشهد الثامن

البنـــدقية – جادة

(يدخل سالارينو وسالانيو)

سالارينو : أيهـــا الصفيّ سالانيو ، رأيت باسانيو مقلعاً ، يصحبه غراتيانو ، وأنا موقن أن لورنزو لم يكن في سفينتهما .

سالانيو : ذلك اليهودي الفاجر أيقظ الدوج بصخبه وصراخه،فذهب الى سفينة باسانيو وفتش فيها .

سالارينو : جاء بعد أن أقلع المركب ، لكنه سمع أن لورنزو وعشيقته جسيكا شوهدا معاً في زورق ، ووكد له انطونيو توكيداً لا يحتمل الريب أنهما لم يكونا في سفينة باسانيو .

سالانيو : لم أرَ قط سخطاً أشدّ التباساً وغرابةً وجنوناً من سخط ذلك اليهودي السافل ، الذي كان يطوف الأسواق منتحباً صائحاً : بنتي . دوقياتي . وا بنيتا . فرت مع مسيحي . وا دنانيري المتنصرة ! الإنصاف باسم القانون . دوقياتي . بنتي. كيس. بل كيسان من الدوقيات، فرادى ومزدوجات اختلستهما سليلتي واحترست بجانبهما مصوغات جمة وألماستين نادرتين ثمينتين . ذلك سرقته ابنتي وكل ذلك معها الآن .

سالارينو : الأدهى أن صبية البندقية يتعقبونه صائحين: ألماساتي. بنتي. دوقياتي .

سالانيو : أخشى ان يتأخر انطونيو عن الوفاء في الأجل فيغرم قيمَ هذه المسروقات كلها .

سالارينو : ذكرتني ـ حين ينفع التذكير ـ أمراً سمعته أمس من أحد الفرنسيين وهو أن مركباً من مراكب بلدنا مشحوناً شحناً غالياً قد ارتطم في المضيق الذي بين فرنسا وإنجلترة ، فلما

طرق أذني هـذا الخبر فطنت لأنطونيو وتمنيت سراً ألا يكون ذلك الموسوق من مراكبه .

سالانيو : ما أجدرك ان تبلغ أنطونيو ما سمعته ، ولكن مع المراعاة التي تلطف موقعَ الخبر من نفسه .

سالارينو : ما من رجل في العالمين أصدق وداداً من أنطونيو. حضرت وداعه لباسانيو وسمعته يقول له : « لا تعجّل عودتك كما تقول ، ولا تهمل شؤونك من أجلي ، بل امكث ما دعت الحال . أما صكّ اليهودي فلا تخطره على بالك، ولا يشغلك عن غرامك . كن فرحاً واقصر همك على إرضاء من تحب بأجمل ما تستصلح من الأساليب » ، وبعد ذلك صافَحَه بقوة ممتنعاً من النظر اليه ، لأن عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع ، ثم تفارقا .

سالانيو : أعتقد انه إنما يعيش لخدمة صديقه . لنذهب اليه فنحاول بما في وسعنا من الوسائل ان نخفف من تلك الكآبة التي لا تفارقه .

سالارينو : هلم ، هلم .

(يخرجان)

المشهد التاسع

بلمنت – مزارة في قصر برسيا

(تدخل نريسا يتبعها خادم

نريسا : أرجو ان تسرع بإماطة الحجاب فقد حلف أمير أراغون يمين الموافقة على الشرط وسيحضر عمـــا قليل للتخير (صوت أبواق) .

(يدخل أمير أراغون وبرسيا وحشمها) .

برسيا : هذه هي الصناديق ، أيها الأمير النابه ، إذا اخترت منها ما فيه رسمي عقد لك عليّ فوراً ، وإن أخطأته كان عليك يا مولاي ان تنصرف من هذه الديار دون ان تنبس ببنت شفـــة .

الأمير : القسم يقتضي ثلاثة شروط: أولها ألا أخبر أحداً بالصندوق الذي وقع عليه اختياري ، وثانيها إذا لم أضع يـــدي على الصندوق الرابح ان أمتنع من الزواج بتاتاً بعد ذلك، وثالثها إن لم أوفق لما جئت في التماسه ان أعود أدراجي من ساعتي بلا اعتراض .

برسيا : هذه هي الشروط .

الأمير : أنا مستعد لها ، فاسعدني أيها البخت ، وحقق آمالي منعماً . أمامي الذهب والفضة والرصاص ، ماذا يقول الرصاص ؟

من ابتغاني فاعزز بما يهين لأجلي

شكلك لا يعد بشيء يخاطر عليه . ماذا يقول صندوق الذهب ؟ لنقرأ ما هو ذلك الشيء الذي يتمناه الأكثرون . لا نزاع في أنهم يعنون بالأكثرين جمهور العامة الذين تغرُّهم الظواهر ، لاكتفائهم بشهادة النظر عن تبطن السرائر فهم كالخُطاف الذي يبني أعشاشه فيما برز من أعالي الجدران ، فيتعرض بذلك للطوارىء والآفات . لن أختار ما يشتهيه السواد كراهةً مني لمماشاة السوقة ، والاختلاط بالطغام الجاهلين ، فإليك الالتفات أيها الكنز النقي . أعد عليّ عبارتك المنقوشة :

من انتقاني فإني أهل له وهو أهلي

ما أحسن هذا المقال ! لا ينبغي لأحد ان يخادع القدر ، ويصيبَ من العز او الجاه او القدر ما ليس به جديراً . حبّذا لو كانت الأموال والألقاب والرتب بالكفايات لا

البراطيل ، إذن لنزعت أعشاب سوء لا تحصى من محصول الكرامات الصحيحة ولأخرجت غلالُ قيمات من أكداس التبن الذي لا قيمـة له . لنرجع إلى شأننا : أحسبني كفواً لها . اعطوني مفتاح هـذا الصندوق فأرى ما فيه .

(يفتح الصندوق)

برسيا : الذي وجدته لم يكن حقيقاً بالزمن الذي أضعته فيه .

الأمير : ماذا أرى ؟ رسم أبله يقدم لي قرطاساً . أي شيء في هـذا القرطاس ؟ ما أقل مشاكلة هـذا الرسم لرسم برسيا ! وما أبعد جوابه عمـا التمسته آمالي ! ألم أكن جديراً إلا برسم أبله ؟! أهذا كل ثوابي ؟! أولم يُلق لي غيره ؟!

برسيا : الخصومة والحكومة نقيضان لا يجتمعان في واحد .

الأمير : لنقرأ ما في القرطاس :

من راضه ألم الخطوب فإنني
بالنار قد مُحِّصْت سبع مرار
من عاش لم يأمن على طول المدى
خطلاً يبادره وسوء خيـار

في النـاس مخدوع يقبل ظله
فينال ظل سعادة وفخــــار
وفتى خليّ العقل مثلي بينهم
في مظهر متـالّق غرار
أنّـى تكن ما أنت إلا مشبهي
فاحمل حمولك وانج من ذي الدار

مهما أطل الإقامة هنا بعد ما كان فلا أزداد إلا ظهوراً بمظهر الحماقة. جئت برأس أبله وأعودُ برأسين. أستودعك الله أيتها الزهراء. سأبر بقسمي لأحسن تملك نفسي وكظم غيظي (يخرج الأمير مع حاشيته) .

برسيا : كذا احتراق الفراشة بالنور . هؤلاء المجانين الذين جفت حواسهم لم يبلغوا من المهارة إلا إتقان الخسارة .

نريسا : صدق من قال إن المشنقة قضاء والزواج نصيب .

(يدخل خادم)

الخادم : أين السيدة ؟

برسيا : ها هي ذي . ما تبتغي منها !

الخادم : يا سيدتي بالباب رجل من البندقيـة جاء مبشراً بقدوم مولاه مهدياً اليك ما زكا من التحيات ، وما غلا من الحلى السنيات ، حتى لخيّـل إليّ ان شهر نيسان ، وهو مزدان بزينات الربيع ، لا يتقدم الصيف بأجملَ وبأرقّ مما يتقدم هذا الخادم الأديب مولاه الآتي في إثره .

برسيا : كفى ، لا تزد ، فقد خشيت ان تضيف إلى هذا الإفراط في الثناء انه من أقربائك . تعالي نريسا ننقع غلةَ شوقنا برؤية ذلك الرسول الذي جاءنا بهذه المحامد كلها .

نريسا : باسانيو . وفقه أيها الغرام (يخرجان) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

البندقية – جادّة

(سالانيو وسالارينو)

سالانيو : ما أخبار الريلتو !

سالارينو : ثبت ما شاع عن غرق مركب لأنطونيو ثمين الأوساق في ذلك المضيق الذي يسمونه على ما أظن جودونس ، وهو مكان بعيد الغور ، دفن فيه مـــا لا يحصى من الجواري المنشآت ، إن صح ما تزعمه العجائز المنبئات .

سالانيو : معاذ الله ان يكون مـا سمعته إلا بهتاناً من أسخف قعيدة أكلت فطير البرطمان ، وأوهمت جاراتها انها تبكي ثالث أزواجها. ولكن النبأ الصحيح الذي يبعث الأسى والأسف هو بأختصار القول ـ منعاً للاسهاب وأخذاً بالمألوف من

الكلام ـ إن أنطونيو النبيل ، انطونيو النزيه ، انطونيو الجدير بأشرف النعوت التي نعت بها إنسان ...

سالارينو : هلم إلى الواقع .

سالانيو : ماذا تقول ؟ الواقع ... هو أن انطونيو فقدَ مركباً .

سالارينو : عسى ان تقف خسارته عند هذا الحد بإذن الله .

سالانيو : ابادر بالتامين مخافة ان يعارض الشيطان هذا الدعاء، ولا سيما وها هو ذا الشيطان بنفسه قادم الينا في زي يهودي .

(يدخل شيلوخ)

سالانيو : (متمماً) شيلوخ ! ما أخبار التجارة في مصفق الريلتو ؟

شيلوخ : انت أعلم من علم بفرار ابنتي .

سالارينو : لا جرم انها فرّت ، وأنا أعرف الخياط الذي صنع لها ما طارت به من الأجنحة .

سالانيو : وشيلوخ كان يعلم أيضاً أن للطائر ريشاً ، وأن العصافير متى راهقت سنّاً معلومة ، فارقت وكر أبويها .

شيلوخ : لتهلك بها خطئت .

سالارينو : لا محالة انها هالكة إذا كان الشيطان قاضيها .

شيلوخ : يثور بي دمي ولحمي .

سالارينو : أفّ لك من فاسق مزمن . أفي هـــذه السن تخطر لك الشهوات ؟!

شيلوخ : أعني ابنتي ، وهي لحمي ودمي .

سالارينو : بين بدنك وبدنها من الفرق ما بين السبج[1] والعاج ، وبين دمك ودمها من البوْن مثل ما يختلف النبيذ الأحمر عن النبيذ الأبيض . لكن انت مخبرنا : أعلمت ان انطونيو أُصيب بخسارة في مشحوناته بحراً ؟

شيلوخ : وهذه مسالة لم تكن لي رابحة . مفلس مسرف لا يجرؤ ان يتراءى في الريلتو ـ بائس ... كان يجيء المصفق متبختراً. حذار ان يتأخر عن الوفاء في صكّه. كان يدعوني مرابياً. إياه ان يغفل ميعاد خطه . كان يقرض النقود إقراض نصارى على سبيل الإحسان . ليخشَ ان يبطىء عن أداء ما عليه في حينه .

سالارينو : مـا أظنك إن تأخر عن إعطائك المال تتقاضى بضْعة من لحمه . أتفيدك في شيء ؟

شيلوخ : تفيدني في إعداد طعم للسمك : ألا يكفي ان أستخدمها في

---

(١) السبج : الخرز الأسود .

شفاء غليلي ، والانتقـــام لنفسي . هو الذي جلب عليّ التحقير والازدراء ، وحال دون اكتسابي نصف مليون فوق مـــا اختزنت . سخر من خساراتي ، وهزىء من أرباحي ، وسبّ قومي ، وعارض أعمـالي ، ونفّـر مني أصدقائي ، واهتاج أعدائي . ولمَ كل هذا ؟ لأنني يهودي . أليس لليهودي عينان ؟ أليس لليهودي يدان وأعضاء وجسم وحواس ومودّات وشهوات ؟ أليس غذاؤه ممـــا يتغذى به النصراني ؟ أليست الآلة التي تجرح أحدهما تجرح الآخر ؟ أليس العلاج الذي يشفي ذاك يشفي هذا ؟ أليس الشتاء والصيف واحداً لكليهما ؟ ألسنا إذا وخزتمونا ننزفُ دماً ، وإذا دغدغتمونا نضحك ، وإذا سقيتمونا السم نموت، وإذا آذيتمونا ننتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما نشبهكم بكل ما سواه . اما جزاء اليهودي الذي يضر بمسيحي ان يثأر منه؟ إذن فلليهودي وقد ائتسى بأسوة النصارى ان يثأر منهم إن أضروا به ساعاملكم بمثل الشدة التي تعاملونني بهـــا او أزيد .

(يدخل خادم)

الخادم : أيها السيدان ! مولاي أنطونيو يبتغي لقاءكما وهو الآن في داره .

سالارينو : نحن في البحث عنه منذ هنيهة .

(يدخل طوبال)

سالانيو : ما أشبه الليلةَ بالبارحة ، ومن توخى ثالثاً لهذين اليهودين الأخوين لم يجده إلا ان يتهود الشيطان .

(يخرج سالارينو وسالانيو والخادم)

شيلوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمة، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها .

شيلوخ : يا للخسران! اختلستْ مني ألماسة بيعت عليَّ في فرانكفورت بألفي دوقي . الآن قد طفقت اللعنة تحل على أمتنا حلولاً لم أشعر به من قبل . ألفا دوقي فقدتها عدا مصوغات أخر غالية ، وايّ غلاء. من لي بابنتي ميتةً عند قدمي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودةً هنا أمامي على وشك ان تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ؟ عجباً اما من نبأ عنها ـ هكذا ـ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة .

خسارة فوق خسارة : كذا للسارق وكذا للباحث عنه . ثم لا ترضية ولا انتقام ، كل الرزايا تنصب على رأسي وحدي، فلا زَفرَةَ إلا ما تصعده أنفاسي ولا عبرةَ إلا ما تصوبه عيناي .

طوبال : لست فذّاً في تعرضك للنوائب ، فقد علمت في جنوا ان انطونيو ...

شيلوخ : ما تقول ؟ ويل ويل ...

طوبال : فقد سفينة من سفنه قادمة من طرابلس .

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت ، نوَاتية ، نجوا من الغرق .

شيلوخ : وحمـــداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت الأخبار . اين ؟ في جنوا ؟

طوبال : سمعت ان كريمتك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة بجنوا.

شيلوخ : تطعنني بخنجر في قلبي . لن يعود إليّ ذهبي ، ثمانون دوقياً صُبرَةً (١) واحدة . ثمانون دوقياً ؟

طوبال : في رجوعي إلى البندقيـة تسقطت من أقوال بعض الذين

(١) صبرة : أي جملة وبلا كيل .

يدينون أنطونيو انه لا بد له من التفليس .

شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا ! سأعذبه . سأنكل به . يا للسرور !

طوبال : أراني أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرْد أعجبها .

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلني يا طوبال ! تلك زبرجدتي التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبتي ، ولو أعطيت بها فرقة من القردة لما أعطيتها .

طوبال : لكنه ثابت ان أنطونيو قد خرب .

شيلوخ : نعم . هذا يقين كل اليقين . اذهب يا طوبال ، أوجد لي سجّاناً تجعله تحت تصرفي ، قبل حلول الأجل بأسبوعين . فإن لم يؤدّ ما عليه لم يكن لي بد من تمزيق قلبه، ومتى خلت منه البندقية ، ففي وسعي ان أفعل فيها ما أشاء . اذهب . اذهب طوبال . ثم الحق بي في الكنيس . بَدار [1] يا طوبال.

(يخرجان)

---

(١) بدار : أسرع .

المشهد الثاني

بلمنت – مزارة في قصر برسيا – الصناديق مكشوفة

(يدخل باسانيو وبرسيا وأتباعها وغراتيانو ونريسا)

برسيا : أبتهل اليك ألا تتعجل. تريث يوماً أو يومين قبل الاقتراع، فإذا ساءت خيرتك ، لم يفتنا أنسك وعشرتك . رويدك رويدك . في قلبي شيء. وهذا الشيء ليس بالغرام – يوحي إليّ ان أفقدك مساءةٌ لي . على ان مثل هذا الوحي لا يجيء من البغضاء. ولأزيدك مكاشفة بما في ضميري، دع ان الأجدر بالفتاة ألا يكون لها من اللسان إلا فكرها، أقول إنني أتمنى استبقاءك ههنا شهراً او شهرين قبل المخاطرة بمستقبلك من أجلي . وقد يجيش بي ان أعلمك كيف تحسن الخيرة ، لكنني إذن أكون حانثة ، ومعاذ الله ان أكونها أبداً . إلا انني لو لم أرشدك وتعذر عليك الفوز بي ، لاشتد أسفي ، من كوني لم أحنث . ويحي ! إن عينيك نظرتاني فقسمتاني إلى شطرين : شطر لك وشطر لك ! كان ينبغي ان أقول – لي – في الثانية لكن سبق لساني ، لأنني لك وما بقي لي

فهو إذن لك. يا للقضاء الجائر أقام حاجزاً بين المالك وملكه فأنا لك ، ولكني ربما لا أكون لك . فإذا جرى الحكم على هذا فلا وقعت التبعة إلا على مصدر الحكم لا عليّ. أفرطت في الثرثرة ، ولكن لا لإضاعة الوقت بل لإطالته بتأخير اقتراعك .

باسانيو : دعيني أختر فإني في أشد العذاب .

برسيا : في أشد العذاب يا باسانيو ، فلا بد من خيانة تحت هواك ، والأولى ان تقرّبها .

باسانيو : لا خيانة، ولكن خشيةَ فقدي من أهواه، وقد يكون أيسر ان تأتلف النار والثلج من ان تأتلف الخيانة وحبي .

برسيا : سوى انني أخشى ان يكون كلامك إكراهياً أشبه بما يجريه الألم على الألسنة قسراً .

باسانيو : عديني بالحياة أعترف لك بالحقيقة .

برسيا : اعترف وعش .

باسانيو : كان يجب ان تقولي : أقررْ وأحببْ ، لأن إقراري لا يزيد على معنى هاتين اللفظتين . ما أعذب ذلك العذابَ الذي يعلمني مسببه كيف أنجو منه . لكن دعيني أعرف بختي بين هذه الصناديق .

برسيا : اليها ، وأعانك الله . إني في أحدها ، فإن كنت لي محباً اهتديت إليّ ـ (إلى الأتباع) اي نريسا ، اي هؤلاء جميعاً، تنحوا قليلاً ـ لتعزف الموسيقى مدة خيرته ، فإن خسر كانت نهاية هوانا في النغم ، كنهاية ذلك الطائر العوّام الذي لا يجيد في حياته إلا صوتاً يتغنى به قبيل وفاته . ولإتمام الشبه أجعل عندئذ عيوني الماء الصافي الذي يقضي فيه ذلك الهوى نحبه . أما إذا كسب فكيف يكون النغم إذن؟ ليكن نفخاً في الأصوار بعيـــدَ الصدى ، كما يكون حين تجثو الرعية المخلصة لدى ملكها المتوج حديثاً ، او كذلك اللحن الشجي الذي يشدوه السعدُ في أذن الخطيب صباح اليوم الذي تتحقق فيه أحلامه ، ويتاهب لعقد القران على عتبة الهيكل . ها هو ذا يتقدم باقل جدلاً ولكن باكثرَ غراماً من الفتى الشجاع « ألسيد » حين أنقذ البتول التي قربتها قبيلة طروادة باكيةً منتحبةً للوحش البحري . على انني أشبه بتلك الفتــاة المقدمة للتضحية . أجد الذين حولي مستعدين كالطروادين يتوقعون الختام ْوأقول : أماماً يا هرقل ، عش فأعيش ـ انا شاهدة القتال سوى انني أشد تأثراً منك يا من يقدم عيه .

(تسمع الموسيقى خلال نظر باسانيو في الصناديق وتشاوره)

صوت ينشد :

أين مكانُ الهوى ومنبتُـه

في العقل ام في الفؤاد مولده

ومن مبـاهٍ به الجلال فقد

دال من المــالكين أيّـده

آخر ينشد :

تلك العيون السواهي للحب هنّ مهــود

إن يسقه اللحظ ناراً قضى وهــنّ اللحود

الجمع ينشد :

ليهتف هتـاف الأسى ويسمـع نواح الأسف

يخف صريـع المــنى ويودي سريـع الشغف

باسانيو : نعم يقرب من الاحتمال ان أبهج غلاف بظاهره يحتوي على أشنع شيء. هكذا تخدعنا زينات الناس في الغالب من الأمر أتوجد في القضاء دعوى سيئة لا يتولى الدفاع فيها مِنْطيق مقنعٌ يغطي معايبها بتأثير فصاحته ؟ أيوجد في العقائد خطأ مهلك لا يجهد أحد المتنطّسين العابسين ان يحلله بنصوص قاطعة ، ويخبأ ما به من السم تحت أزهار يزينه

بهـا ؟ هل في المثالب واحدة لا تلبس لدى الإبصار بعض ملابسَ المحامد؟ كم من جبان لا تختلف شجاعته عن مدْرَجة من الرمل ولكنه يغشّي ذقنه بمثل لحيــة هرقل الصنديد[1] او لحية المريخ العنيد. لو استشفت بواطنُ هؤلاء الرعاديد[2] لوجدت أكبادهم بيضـاء كاللبن ، سوى انهم سرقوا تلك الإمارات المهيبة ليداجوا بالبطش والبأس . انظروا إلى الجمال تجدوا جواذبه مجلوبةً من حانوت التاجر ، ومن غريب ما تحدثه الطبيعة في هذا الباب ان أكثر النساء حمولة من المحاسن المستعارة،هن اللواتي لا يطول الزمن بزيناتهن! فإذا رأينـا عند بعضهن ذلك الشعر الذهبي الذي تتلوى ضفائره تلوّيَ الثعابين ، وتتجارى بين غدائره لواعبُ النسمات لم يكن إلا زُخرفاً باطلاً ورثه الرأس المتباهي به عن رأس أصبح بالياً في القبور . فالتبرج إذن ليس إلا زينة الشاطىء الذي ينزل منه إلى البحر الزاخر بالأخطار ، او هو الشف اللماع ، الذي تحتجب وراءه هجنة هندية . او

---

(١) الصنديد : السيد الشجاع .

(٢) الرعديد : الجبان .

هو ما ترتديه الحيلة من مشابهة الحقيقة لتأخذ الحكيم في أشراكها . لهذا أنبذك ايها الذهبُ البراق طعامُ ميداس ، كما انني أنبذك ايتها الفضة فإنما انت ذلك المعدن الشاحب والأداة المبتذلة في التداول بين الناس. اما انت ايها الرصاص المستخس الذي لا يغش العيون ، والذي تغريني سذاجته الصامتة اشد من إغراء الفصاحة، فإياك أختار لعلك تكون مخبأ سعدي ، ومبعث هنائي .

برسيا : أرى كل العوامل قد تبددت في الهواء من هَم مقلق، وخوف مؤرق ويأس ليس بإحدى الراحتين ، وغيرة مخضرة العين حاشاك ايها الغرام الذي استباح قواها ، واستبى حماها ، فبحقك إلا ما ترفقت بي ؟ وتلطفت لي ، وخففت من غُلوائك ، وهدأت من سورة سرائك ، فقد خشيت ان ينوء بحملك قلبي ، ويقضي بفضلك نحبي .

باسانيو : (فاتحاً صندوق الرصاص) ـ ماذا أرى ؟ أرسم برسيا ؟ اي ملك تنزل من سمائه فتجلّى في هذه الصورة الإنسية يا عجباً لهاتين الحدقتين ؟ اهما تتحركان ام انا واهم ؟ يا عجباً لهذا الثغر ! لم تكد شفتاه الرقيقتان تفترقان على ما بينهما من الهوى إلا لتاذنا ارَج الأنفاس بتعطير الهواء . يا عجباً

لذلك الشعر ! كان امهر الرسامين عندما نظمه قد حاك من خيوطه الذهبية حبالة تؤخذ بها القلوب ، كما تؤخذ دقاق الهوام بنسج العنكبوت . ولكن البدع كلّ البدع في العينين ، كيف استطاع ذلك المصور ان يحدق فيهما ليحسن تمثيلها ؟ اما الكمال فانظروه في الأصل لا في النقل . وما ابعد ربة الجمال عن ان يضارعها الخيال. فلأمتع الآن طرفي بما كتبه الحظ في هذا القرطاس من آيات سعدي : (يقرأ)

يا من رأى باطلاً فمر بـه
ولم يزغْ في طلائه نظرهُ
يهنئك العقل لم يضل بـه
مغويه والسعد رابحاً خطرهْ
لئن تكن قد حظيت بعد جوى
كما يصيب الجزاء منتظرهُ
قبّـل محيا العروس مغتبطاً
فالعمر قد طاب والمنى ثمره

حبذا هذه الأقوال الشائقة. إذناً ايتها السيدة (يقبلها) أتيت وهذه الورقة في يدي ـ لأقبل وأتقبل مشبهاً بذلك صاحب الفوز في الصراع المشهود . فهو إذا سمع تصفيق المتعجبين ،

وتهليلَ المعجبين ، جمد مكانه ونظر حواليه مرتاباً فيما إذا كان ذلك التمداحُ موجهاً اليه. وما موقفي هذا إلا كموقفه ذاك، أكاد أرتاب فيما أرى وأرقب لتصديق ما جرى ان تجيبيني إلى ما قدمت وتثبتي وتحققي ما اغتنمت .

برسيا : ايها الهمام باسانيو : ها انا ذي لديك كما انا ، ولولا أمر جددته في نفسي لاجترأت بالنعم التي منحتها ولم أسترد . لكنني غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أوسع جاهاً . فتكبر حظوتي في عينيك ، ولو كان لي من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب عدادٌ لا تنفد . إلا انني ولا فخر غير خالية من شيء يقدر بقدر فإنما أمامك فتاة معصر [١] نقية غرة ، تعتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدْنة [٢] صالحة للتقويم . ومن سعد طالعها انها ليست من الجهل بحيث تستعصي على التعليم ، ومن تمامِ نعمائها ان عقلها طيعٌ يدعوها إلى إلقاء زمامها عن رضى بين يديك ، والإقرار عن خضوع بأنك سيدها ، وأميرها ،

---

(١) معصر : مدرك . (٢) لدنة : لينة .

ومليكها . فانا وكل ما لي قد أصبحنا لك اليوم . كان قبلاً هذا القصر المشيد قصري،وكنت مولاةَ خدمي، وحشمي، وكان بيدي قياد نفسي . اما الآن فالدار والتبع والمتبوعة في تصريف بنانك يا ولي أمري . وهبتك أولئك جميعاً . وأزيدك هذا الخاتم الذي أوصيك بحفظه ، وبأن تحرص كلّ الحرص من إضاعته ، او فقده ، او مفارقته فإن ذلك لينذرني بتحول قلبك عني ، ويخولني حقّ الشكاية منك .

باسانيو : لقد أعجزتني يا سيدتي عن التفوّه بلفظة واحدة ، فما فيَّ من متكلم إلا دمي الذي يجيش في عروقي،وأشعر باضطراب في أفكاري أشبه بغوغاء الجمهور إذا ألقى عليهم أمير كريم كلمات محبته ، فاختلطت عواطفهم في إحساس واحد اجتمعت عليه كل تلك النفوس:إحساس الفرح بين صامت، او صائت ، فاعلمي ان حياتي تفارقني قبل ان يفارق هذا الخاتم اصبعي ، وإذ ذاك لك ان تقولي : « مات باسانيو» .

نريسا : إن سعدكما هذا لسعد طالما تمنيناه ، فأجيزا لنا يا سيديّ رفع تهنئتنا اليكما : صفاءً وهناءً .

غراتيانو : يا سيدي باسانيو ويا سيدتي ! أدعو لكما بما تشتهيان من صنوف النعم ، واثقاً من ان آمالكما لن تتمادى إلى الإضرار

بتحقيق أمانيّ ، وعلى هذا أستأذنكما بأن يكون عقد قراني في نفس اليوم الذى ستعينانه لعقد قرانكما .

باسانيو : إذا وجدت الحليلة فإنا لنأذن بارتياح .

غراتيانو : لقد ظفرت ، ولك الشكر يا سيدي ، بالتي أرغب فيها ، فإن عيني لا تقلان فراسة عن عينيك ، وقد لحت التابعة ، كلمحك المتبوعة ، فأحببت كما أحببت وشببت كما شببت . وكما كان حظك منوطاً بهذه الصناديق كان حظي منوطاً بنجاحك ، إذ انني بعد تجشمي عرق القرْبة لاستمالة هذه الغانية ، وإبحاحي صوتي في الإقسام لها على صدق غرامي لم أفز منها إلا بوعد : وهو انها تقترن بي إذا انت وفقت للاقتران بمولاتها .

برسيا : أكذا جرى يا نريسا ؟

نريسا : نعم يا سيدتي ، إن كان فيه رضاك .

باسانيو : أجد ما تقول يا غراتيانو ؟

غراتيانو : جد في النهاية يا سنيور .

باسانيو : نعدّ من متممات فرحنا ان يقام عرسنا وعرسكما في آن .

غراتيانو : (لنريسا) لنراهن بعشرة آلاف دوقي على منْ من فريقنا

يجيء بأول ولد. أسمع قدوم أناس... هذا لورنزو وكافرته
وهذا صديقي القديم سالريو البندقي .

(يدخل لورنزو وجسيكا وسالريو)

باسانيو : لورنزو وسالريو ! مرحباً بكما ، إن كان يسوغ لي على حداثة عهدي هنا ان أحتفي بمواطنيّ وأصدقائي. أتأذنين لي يا برسيا الجميلة ان أرحب بهم ؟

برسيا : لقد لقوا أهلاً ، ونزلوا سهلاً .

لورنزو : حمداً لك يا مولاتي . اما انا يا سيدي فلم يكن مقصدي هذا القصر ، لكنني صادفت سالريو في الطريق ، فلج حتى أوجب مجيئي معه .

سالريو : هذا ما حدث يا سيدي ، وكان لذلك عندي سبب . اليك كتاباً من السنيور انطونيو. حملني إياه وأوصاني ان أذكره لديك (يعطيه الكتاب) .

باسانيو : (قبل فض الكتاب) كيف صديقي الأعزّ !

سالريو : ليس بمريض ولا بمعافى، إلا ان تكون الصحة او العلة في الروح لا في الجسم، ولكنك ستعلم من رسالته حقيقة حالته.

غراتيانو : (مشيراً إلى جسيكا) نريسا ، أكرمي وفادة هذه الأجنبية

واحتفي بها . يدك يا سالريو .اي جديد في البندقية ؟ كيف انطونيو أمير التجار وكيف أعماله ؟ انا موقن انه سيفرح لأفراحنا . نحن من آل جازون قد غنمنا الجزازة الذهبية.

سالريو : ليتكم كسبتم ما خسر .

برسيا : لا بد ان تكون في هذا الكتاب أنباء رائعات ، فقد امتقع وجه باسانيو ، وما يغير وجهَ الرجل الكريم مثل هذا التغيير السريع إلا ان يفقد صديقاً من أصفى أصفيائه تهون في جنب رزئه فوادحُ الأرزاء . عجباً ! أرى ازدياداً في أسفه ـ إيذن يا باسانيو : إنني شطر منك الآن ، وأطلب بقوة حصتي من مضمون هذه الرسالة كائناً ما كان .

باسانيو : يا حبيبتي برسيا ! لم تسود الصحف في يوم من الأيام بمثل ما سودت به هذه الصحيفة من السطور المشؤومة ، عندما فاتحتك بغرامي لأول عهدنا ، أقررت لك بأن ما بقي من ثروتي لم يكن إلا الدم الجاري في عروقي: دم ماجد شريف. على انني أيتها الصفية الرقيقة ، مع صدقي بإبلاغك انني لم أكن شيئاً مذكوراً ، قد غاليت فقوّمت نفسي ، بما يفوق قيمتها كثيراً ، وكان الأجدر بي ان أصارحك بأنني أقل من لا شيء : ذلك لأنني استخدمت ضمان صديق عزيز

للحصول على مال أقضي به حاجاتي، فعرّضته بذلك لألدّ أعدائه وأشد مبغضيه. هذا كتاب يا سيدتي درَجه جسم صاحبي، وكل كلمة في الدّرْج جرح ثخين في الجسم يتدفق منه الدم وتندفع في أثره الحياة. ولكن أحق يا سالريو ان كل تلك المواسق نكبت؟ عجباً! ألم ينج واحد منها؟ أوَلم تصل سفينة فذة من تلك السفائن العائدة من «طرابلس» او «المكسيك» او «إنجلترة» او «لشبونة» او «الهند» بلا استثناء؟ أكلها أبادته الصخور، وألقت به في أعماق البحور؟

سالريو : كلها باد بلا استثناء. ومما يزيد الشجن ان اليهودي، فيما ظهر منه وتحقق، يأبى المال لو ردّ اليه الآن. ذاك مخلوق، على كونه في شكل إنسان، ما رأيت في غابر أيامي أشدّ منه تكالباً للتنكيل بخصمه، فهو من الصباح إلى المساء لاحق بالدوج ملحّ أو ملحف يتقاضى شرطه، مجاهر بانه لا يبقي للعدل في الحكومة معنى إذا لم يفن على استيفاء حقه، وقد خاطبه عشرون من التجار كما خاطبه الدوج نفسه، والملأ الأكرمون من الأعيان ليعتدل في أرَبه، ويعدل عن طلبه

فابى مصراً ، ولم يتمكنوا من تليين قلبه الجافي المليء بالضغن .

جسيكا : عندما كنت معه سمعته بحضرة طوبال يهمس لمشايعيه في الدين يقول : إنه يؤثر البضعة من لحم انطونيو على عشرين ضعفاً للقدر الذي أقرضه إياه،وانا متحققة من ان انطونيو المسكين إذا لم يؤازره القانون او أولياء الحل والعقد لم يفلت من مخالب الخطر .

برسيا : أذلك الرجل الواقع في هذه الأزمة الشديدة حبيب اليك ، عزيز عليك .

باسانيو : هو أصفى إخواني وأوفى أخداني[1] ،هو في الرجال الأشهم الأمجد ، الأكرم الأعود ، هو الإنسان الذي تتراءى فيه الروح الرومانية أصفى ما كانت ، وأنقى ما هي كائنة في نفس إنسان من بني إيطاليا .

برسيا : ما الذي عليه لليهودي ؟

باسانيو : عليه له ثلاثة آلاف دوقي أخذتها انا .

برسيا : أهذا كل المقدار ؟ اردد اليه ستة آلاف ، وليمزقْ ذلك

---

(١) الخدن : الحبيب والصاحب .

الخط . ضاعف له هذا الزهاء ، او أعطه ثلاثة أمثاله حرصاً على شعرة من رأس صديق كهذا ان تضيع لأجل باسانيو . اصحبني بعد هنيهة إلى الكنيسة لتتخذني عروساً لك ، ثم اذهب من فورك إلى البندقية لإسعاف صاحبك ، إذ ان برسيا لا ترضى إقامتك بجانبها ونفسك قلقة ، وأيما مبلغ من الذهب وجب لإيفاء ذلك الدين الصغير ، حتى لو أربى على أصله عشرين ضعفاً ، حمل اليك بلا إبطاء فإذا قضيت هذا الحق عدت بصاحبك لنأتنس به ، وفي خلال هذه المدة سأعيش انا ونريسا عيشة بتولين وأيِّمين . هلم بنا ، وإذا كان قد تحتم عليك هذا السفر في يوم عرسك فلا يصددك ذلك عن الهشاشة لإخوانك ، ولا يرَوا منك إلا وَجهاً ضحوكاً ، سأغلي قدرك بنسبة ما قد أغليت مهرك، ولكن فاتك ان تسمعنا شيئاً مما كتبه صاحبك .

باسانيو : (قارئاً) : صديقي باسانيو . ارتطمت جميع مراكبي ، وأصبح الدائنون لي بلا شفقة . شؤون تجارتي في درْك الإنحطاط ، ولم يتسنّ لي افتكاك نفسي من حق اليهودي في الأجل المضروب ولما كنت لا أستطيع التحرر مما عليّ إلا ان أفتدي الدين بحياتي ، عولت على ذلك مبرئاً ذمتك من

كل ما تسلفته مني، راجياً ان أراك قبل وفاتي، وما أكلفك المجيء إلا تبعاً للتيسير، وعلى ان يكون باعثه وحيَ الصداقة اليك لا تثقيل هذا الكتاب عليك » .

برسيا : اي حبيبي ! تجهزْ عاجلاً ، وسرْ .

باسانيو : أما وقد أذنتني بالسفر فإني لمبادر ، ولن آوي إلى مضجع او ألتمس شيئاً من الراحة فيعوقني أدنى عوْق عن سرعة الرجوع .

(يخرجون جميعاً إلا برسيا ونريسا وبلتزار)

المشهد الثالث

البندقية – جادّة

(يدخل شيلوخ ، سالانيو ، أنطونيو ، سجان)

شيلوخ : سجّان ، احرص عليه . لا تلتمس مني رحمة – هذا هو الأبله الذي كان يقرض النقود احتساباً . سجان ، إياك أن يفلت .

أنطونيو : تفضل بالصغو إليّ أيها السميح شيلوخ .

شيلوخ : أتقاضى حقي ولا اريد أن أسمع كلاماً في هذا المعنى ،

أقسمت إلا ما تنجزت حقي . لقد كنت تدعوني كلباً بلا ذنب مني ، فإن كنت الكلب الذي تصفه فاصبر لنكز أنيابي . سينصفني الدوج . من العجب أيها السجان البليد أنك تلين له هذه الليونة، وتخرجه من معتقله إجابة لملتمسه.

أنطونيو : أتوسل اليك ان ترعيني سمعك .

شيلوخ : أطلب حقي ولا أرعيك سمعي ، حسبك ضراعة لا تفيد . لست من اولئك الأغبياء الذين اذا استعطفوا هزوا رؤوسهم، ونفسوا كربهم بتصعيد أنفاسهم ، ثم أجابوا النصارى الى رغائبهم . دع متابعتي . لن أستمع لك إنما أتقاضى حقي (يخرج) .

سالانيو : لم يرزأ الناس في معاملاتهم بأظلم من هذا الضاري .

أنطونيو : عد عنه . حسبي لحاقاً به وتضرّعاً اليه بغير جدوى . يبغي حياتي وأعرف السبب في ذلك : فهو ينتقم لإنقاذي من مخالبه غيرَ واحد من المقترضين الذين استعانوا بي عليه ، وهذا سرّ بغضائه .

سالانيو : يقيني ان الدوج لا يأذن بإنفاذ تعهد كهذا .

أنطونيو : لا يستطيع الدوج منع القانون من الجري في مجراه ، فإذا أرابت الحكومة في تأويله أساء الأجانب ظنهم بعدلها ،

وخشوا على الامتيازات المخولة لهم فكان في ذلك خطر على مدينة كالبندقية قوام ثروتها تجارتها مع الأمم الاخرى. لننصرف. إن أحزاني ومصائبي قد شفتني حتى لا أعلم إن كانت قد أبقت لليهودي القدر الذي سيتقاضاه غداً من لحمي. سرْ بي أيها السجان. سرْ بي. عسى الله ان يرسل إليَّ باسانيو فأراه، ويراني وافياً دينه، فأموت عندئذ راضياً.

(يخرجان)

المشهد الرابع

بلمنت — مزارة في قصر برسيا

(تدخل برسيا ونريسا ولورنزو وجسيكا وبلتزار)

لورنزو: أجرؤ أن أقول بحضورك إن رأيك في الصداقة الخالصة رأي صادق شريف، وإنك قد أيّدته بتحملك فراق زوجك في مثل هذا اليوم، ولكنك لو عرفت من الرجل الذي تسدينه هذا المعروف، وما شرفه، وما مودته لقرينك، لكنت أشد افتخاراً بهذه المنة منك بأية منة أوليتها من قبل.

برسيا : لم أندم مرة على الإحسان . فما أبعدني الآن عن النـــدم ، ولا سيا أن الصاحبين إذا طال تعـاشرهما ، واختلاطهما ، تـآلف قلباهما وتواثقت نفساهما بعرى الصداقة، فلا بد من تشابه بينهما في الخَـلْـق ، او الخُـلُـق ، ومن ثم اعتقدت ان انطونيو هذا لا بد ان يكون على شاكلة زوجي ، بسبب ما بينهما من متين العلاقة، فالثمن الذي اشتريت به من القسوة الجهنمية ذلك الصديقَ المخلوق على مثال زوجي لا يكون إلا بخساً،لكن أراني استدرجت الى ما يشبه التمدح،فلنتحول عن هذا المعرض الى معرض آخر . يا لورنزو أرغب اليك في تولّـي إدارة بيتي الى ان يعودَ بعلي، أما أنا فقد نَذَرْتُ لله سراً ان أعيش في النسك ، والدعـاء ، والاعتزال ، إلا عن نريسا الى ان يرجع بعـلانا ، وسنقيم في دير قريب لا يبعد إلا ميلين عن هذا المـكان، فرجائي ألاّ تمتنع من إجابة هذا الطلب على ما تقتضيه المودّةُ وأسباب غيرُها أبـداها .

لورنزو : اوافق على ما تريدينه يا سيدتي بكل قلبي ، ومـا أطوعني لأمرك في كل أمر مشروع .

برسيا : سآمر أتباعي ان يكونوا منذ الساعة رَهْن إشارتك كأنك

باسانيو ، ورهن إشارة جسيكا كأنها أنا . أستودعكما الله في صحة ونعمة الى ان نلتقي .

لورنزو : منحك الله صفاء البال وصفاء الوقت .

جسيكا : أرجو لك يا سيدتي قرّة العين ومسرّة الفؤاد .

برسيا : أدعو لكما بمثل ما دعوتما لي . أراك بخير يا جسيكا .

(تخرج جسيكا ولورنزو)

برسيا : (متممة) : اليك خطابيَ الآن يا بلتزار. أودّ لو وجدتك اليوم على ما عهدته فيكَ من الوفاء والمضاء في الامتثال . فاحمل رسالتي هذه بأسرع ما يستطاع الى مدينة بادوا ، الى ابن عمي الدكتور بلاريو ، فإذا سلمته إياها يداً بيد ، فتسلم منه الأوراق والملابس التي يعطيكها ، وجيء بها كلمح الطرْف الى مرسى السفينة التي تجول عادةً بين القارّة والبندقية . لا تُضعْ وقتاً في الكلام ، بل سافر وسأسبق الى الموعد .

بلتزار : سيدتي سأبادر جهد المبادرة . (يخرج)

برسيا : تقدمي يا نريسا ، أنا عازمة على امور ما زلت تجهلينها ، فاعلمي أننا سنلقي زوجينا قبل الوقت الذي يظنان .

نريسا : وهل يبصراننا ؟
برسيا : بلا ريب يا نريسا ، ولكن في زيّ يوهم أننا غير منقوصتين ما نقصَتهُ أجسام النساء : بمعنى أننـــا متى لبسنا لبسَ الفارسين الشارخين راهنتك على مـا تشائين ، إنني سأتقلد خنجري بلباقة لا يستطيعها الرجل ، وسترين كيف أرقق حينئذ صوتي فاجعله ناعماً كصوت الغلام المراهق، و كيف أحوّل هذه المشية الحيية الى مشية الذكر المتباهي ، و كيف أتكلم عن مشاجراتي تكلُّم يافع جميـــل فخور، و كيف أستدر الأكاذيب من حـــاضر الذهن فأحسن قصَصها ذاكراً العقـائل العفيفات اللائي افتتنّ بحبي ، والخرائد المصونات اللائي مرضنَ او متنَ من جفـائي إذ لم يكن في وسعي ان أكفيهن جميعاً ، مبـدياً أسفي على اللواتي قضين نحبهن من أجلي ، متفنناً في تفصيل أمثال هـذه الغرائب والعجائب ، حتى ليحلف الرجال الذين يسمعون مني تلك الأقوال أنني لم افارق المدرسة إلا لعام او بعض عام خلا .
نريسا : على هذا سنقضي حيناً في مخالطة الرجال .
برسيا : أف منك وبئس السؤال . لو كان هنـا أجنبي لأساء الظن بطهارة نيّـتنا. هلمي بنا الى الكنيسة لإتمام العقد ، ثم أشرح

لك مقصدي في الطريق ، وإن أمامنا لمسيرة عشرين ميلاً . البدار . (تخرجان)

المشهد الخامس

المكان عينه ـ حديقـــة

(يدخل لنسلو وجسيكا)

لنسلو : نعم، والحق ما أقول : ذلك أن خطايا الوالد تقع على الولد، ولهذا اخبرك عن يقين أنني أخـاف عليك جدّ الخوف . وقـد جرت عادتي ان اصارحك بفكري ، كل فكري ، فأنت على علم لا ريب فيه انك هالكة النفس ، وليس بباق لك سوى رجاء غير جدير بالذكر ، رجاء لقيط .

جسيكا : وأي رجاء هو ؟ أتفصح عنه ولك الفضل ؟

لنسلو : هو : ان تأملي انك لست من صلب أبيك ، اي انك لست ابنة اليهودي .

جسيكا : عندئذ يكون رجائي لقيطاً كما ذكرت ، وإذن تعلق بي تبعات خطايا والدتي .

لنسلو : انا ـ وما أحدثك إلا بالصدق ـ أخشى ان تكوني هالكة

من جهة الأب ومن جهة الأم معاً ، فإذا أردت لك النجاة من ناحية الصخر : أبيك ، وقعت بك في ناحيـة الهوة : أمك . فأنت بتمام الراحة ... هالكة من هنا ومن هناك .

جسيكا : ولكن يخلصني زوجي الذي جعلني نصرانية .

لنسلو : إنه لجدير باللوم المضاعف على فعله هـــذا ! لقد كنا نحن النصارى أكثر عدداً مما تقتضي الحال ، وكنا بحيث لا يكاد الواحد منا يكفي أخاه . فهذا التهافت على الاستكثار من المسيحيين سيغلي أثمان الخنازير . وإذا أصبح الناس جميعاً أكلة خنازير فلسوف ياتي وقت لا يتسنى لأحد فيه ان يحصل على كربونات .

(يدخل لورنزو)

بسيكا : لنسلو سأبوح لزوجي بكل ما قلت لي وذكرته،وها هو ذا.

.رنزو : أتعرف يا لنسلو أنني قد قاربت ان أغار منك لفرط ما تتوالى محادثاتك لامرأتي على انفراد .

سيكا : كن آمناً من هذا القبيل يا لورنزو ، إن لنسلو لخصيمي اليوم ، فقد قال لي بلا مجاملة ان لا رحمة لي في السماء لأنني ابنة يهودي،ويزعم أيضاً انك سيىء الوطنية لأنك بتحويلك يهوداً إلى نصارى تغلي ثمن الخنازير .

لورنزو : سيكون أسهل عليَّ ان أبرأ من هذا الذنب لدى مواطنيّ مما يسهل عليك ان تبرأ من إحبالك جاريةً سوداء .

لنسلو : يحتمل ألا تكون الجارية السوداء على الحالة التي ينبغي ان تكون عليها ، ولكنها إذا كانت قد نقصت شيئاً عما يجب ان تكون المرأة العفيفة فقد زادت شيئاً على ما كان عهدي بها.

لورنزو : مـا أيسر لعبَ الحمقى بالألفاظ ! أظن أنه لا يمضي زمن حتى يصير السكوت هو العقل ، والكلام هو مـا يليق بالببغاوات.اذهب أيها المزْأة وقل لحشمنا ان يتأهبوا للعشاء.

لنسلو : المائدة ستهيأ والأطعمة ستوضع ، وأما ان تذهب لتناول الطعام فهذه مسألة أدع لك حلها كما ترى .

لورنزو : ما أعجب هذا الإدراك،وما أغرب تصفيفَ هذه العبارات بهذه البراعة ! هذا الأبله قد جمع في ذهنه جيشاً من النكات، وأعرف غير واحد من عليـة أهل المناصب محشوين مثلَ هذا الحشو وينطقون شمالاً ويميناً بمثل هـــذه المهاترات . دعينا من هذا يا جسيكا وقولي :كيف أنت يا حبيبتي؟ وما رأيك في قرينة باسانيو ؟

جسيكا : فوق ما تصف الكلم . على السنيور باسانيو ذمـــة ان يسير أحسن سير الرجال ، لأنه بحصوله على مثل هـذه المرأة قد

وجد في الأرض نعيم السماء ، وإذا لم يعرف قدر سعادته في الدنيا ، لم يجدر بأن يفوز بسعادة الاخرى . وَايمُ الحق ، إنه لو تراهن إلهان على خطر علوي ، وجعلا الرهان امرأتين إحداهما برسيا ، لوجب ان يزاد في الخطر على الاخرى شيء كثير ، ذلك بأنه ليس في الإمكان ان تلقى امرأة كبرسيا في هذه الأكوان .

لورنزو : هي في الزوجات ما أنا في الأزواج .

جسيكا : هلا سألتني رأيي في هذا الشبه ؟

لورنزو : هذا ما سأفعله فيما بعد ، فلنبدأ بتناول العشاء .

جسيكا : لا ، ودعني أمتدحك حين النفس طالبة .

لورنزو : بل دعي هذا بغير أمر نجعله حديث المائدة . ومهما تقولي عندئذ أهتضمه مع سواه .

جسيكا : حباً وكرامة ، وسأتولى الثناء عليك .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

البندقية - دار عدل

(يدخل الدوج والأعيان وأنطونيو وباسانيو وغراتيانو وسالارينو وسالانيو وآخرون)

الدوج : هل أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : هانذا رهين بأمر سموكم .

الدوج : إني مكتئب لما نابك ، وإن خصمك رجل فاقد الإنسانية عادم الرحمة شديد المراس ميت الإحساس .

أنطونيو : نمى إليّ أنكم بذلتم كل مجهود لاستعطافه . فما ازداد إلا جفوة . ولما كان مستمراً في عناده، وكان القانون لا ينجيني من مخالب حقده ، وطّنت نفسي على الصبر لمحنته، وتهيأت بجلد لما ترميني به نفسه الخبيثة من الرزايا .

الدوج : ليُدعَ اليهودي ويمثل لدى المحكمة .

سالانيو : هو بالباب يا سيدي ، هو آتٍ . (يدخل شيلوخ)

الدوج : افسحوا له فنراه ويرانا مواجهة . شيلوخ ، يظن غير واحد ـ وأنا من أصحاب هـذا الظن ـ أنك مُصرّ على ما توحيه اليك البغضاء حتى الدقيقة الأخيرة ، فإذا حلّتْ هـذه الدقيقة راجعت حلمك ، ورجعت الى وحي الشفقة بما لا يدل عليه هـذا التظاهر منك بالقسوة المتناهية . ويزيد أصحاب هذا الظن على ما قدمته أنك ستعدل عن النهج الذي نهجته الى الآن من تقاضي بضعة اللحم من جسم هذا التاجر المنكود الطالع الى مـا هو أعرق في الانسانية ، وأبلغ في السماحة ، فتترك له نصف المقـدار الأصلي من الدين ناظراً بعين الرحمة الى ما مُنيَ به حديثاً من الخسائر، التي لو مُنيَ بها أعظم التجار ميسرة لأعسر ، وهو الخطب الذي تلين له النفوس المتصلبة كالنحاس ، وترقّ من جرّائه القـلوب المتحجرة كالرخام ، بل الرزء الذي يرثي له جفاة الترك ، ويبكي منه قساة التتار، أعداء كل رفق وأضداد كل كياسة . إنا نرقب إجابتك أيها اليهودي ، وعسى ان تكون موافقة.

شيلوخ : لقـــد كاشفت سموكم بمقاصدي ، وأقسمت بالسبت . وإنه لَقسَم لو تعلمون عظيم . إلا مـا تنجزت منطوق الصك بالحرف ، فإذا أبيتم عليّ ذلك فلتقع تبعة هـــذا الإباء على أنظمة حكومتكم ، وامتيازات مدينتكم . تسالونني على مَ أوثر بضعة من اللحم الخبيث على استئداء ثلاثة آلاف بندقي. فجوابي: أنه لو قدر كون هذا الطلب إحدى بدوات عقلي لكفى ذلك في إيجابه، فقد يكون في بيتي جرذ ثقيل أطيب للتخلص منه عن ثلاثـة آلاف دوقي . أفتبغون مني أسباباً أخر ؟!... من الناس من لا يطيق رؤية خِنّـوص واسع الشدقين ، ومنهم من يرتعد لرؤية سِنّـور ، ومنهم من إذا سمع غنّـة المزمار لم يستطع حقن بوله ، ذلك لأن شعورنا هو ذو السلطان المطلق على موداتنـا وعلى موجداتنا ، وفي يده أزمّـة ما نحب ، وما لا نحب ، فإن أردتم بعد هـــذا جوابي فإليكم جوابي : كما ان الانسان لا يستطيـع بياناً لما بغض اليه الخنّـوص المتثائب وأخافه من السنّـور الذي لا يؤذي ، ونفره من صوت المزمار ، ودفعه بقوة خفيـــة لا مردّ لهـا الى التكره من رؤية ما لا يسرّه ، ولو عرضه ذلك ليكون بغيضاً على الآخرين ، كذلك أنا . وحسبي

داعياً للتشدد في مقاضاة انطونيو وإيثار احتزاز لحمه ، على استعادتي نقودي منه ، تأصلُ الحقــــد عليه في دمي ، وتمكنُ الضغن له من فؤادي . أيرضيكم هذا ؟

باسانيو : يا للرجل الذي ليست له أحشاء ! ما هذا بالعذر الذي يعتذرُ به عن مثل هذه الخطة .

شيلوخ : ليس من الضروري ان يعجبك اعتذاري .

باسانيو : أكل إنسان يقتل من لا يحب ؟

شيلوخ : أيوجد إنسان لا يحب قتل من يبغض ؟

باسانيو : ما كل إهانة تتولد منها البغضاء حتماً ؟

شيلوخ : أتريد ان ينكزك الثعبان مرتين ؟

انطونيو : تذكر ــ رعاك الله ــ انك إنما تحاور اليهودي ، وانه أيسر لك من إقناعه ان تقف على الشاطىء وتأمر البحر بالجزر في غير أوانه فيزدجر ، او ان تسأل الذئب لماذا يستبكي النعجة التي افترس صغيرها وتركها تثغو وراءه ، او ان تحظر على صنوبر الجبل تحريك أغصانه الوريقة الشائبة ، او الجهر بحفيف أعواده حين تصدمه الرياح ، او ان تعمل أشقَّ ما يرام عمله ، من ان تتوصل إلى تليين أقسى شيء في

الدنيا وهو قلب اليهودي ـ فقدْكَ توسلاً، وحسبك جهداً،
وليصدر عليَّ الحكم وشيكاً ، ولتكمل مشيئة اليهودي .

باسانيو : هذه ستة آلاف دوقي بدلاً من ثلاثة الآلاف .

شيلوخ : لو قسم كل من هذه الدوقيات إلى ستة أقسام وصار كل قسم دوقياً لما رضيت بها عوضاً ولا ابتغيت إلا إنفاذ الشرط .

الدوج : أية رحمة يجوز لك ان ترجوها وانت لا ترحم ؟

شيلوخ : ماذا أخشى وانا لم أصنع شراً ؟ للأكثرين منكم أرقاء شريتموهم بالأموال ، وتستخدمونهم استخدامكم لحميركم ، وكلابكم ، وبغالكم في أعمال حقيرة ، سافلة ، بعذر أنهم مما ملكت أيمانكم بالشراء. فلو قلت لكم: أعتقوهم وزوجوهم من بنيكم او بناتكم ، علام هم موقرون بالأحمال ؟ لتكن أفرشتهم وثيرة كأفرشتكم ، ولتكن أطعمتهم شهية كأطعمتكم ـ لأجبتموني : هؤلاء الأرقاء ، هم ملكنا. وهذا عين ما أجيبكم به ، فإن بضعةَ اللحم التي أطلبها من هذا الرجل ، قد ابتعتها بثمن غال ، وهي لي ، وإياها أقتضي ، فإن أبيتموها عليّ لم تجدُرْ قوانينكم بعد ذلك إلا بالازدراء ولم ترج طاعةٌ بعد لأوامر البندقية ونواهيها . إني لأرقب حكمكم ، تكلموا ، أأظفر بذلك الحكم ؟

الدوج : سآمر ـ وعلى العهدة ـ بإرجاء الدعوى ، إلا إذا وفد اليوم العلامة بلاريو الذي بعثنا في طلبه لنسمع منه الرأي الفصل في هذه المعضلة .

سالارينو : مولاي ، بالباب رسول من بادوا يحمل ألوكاً من ذلك الأستاذ .

الدوج : أدخلوا الرسول ، وجيئوني بالرسالة .

باسانيو : تجلد يا انطونيو يا صديقي الحميم ، ليأخذنّ اليهودي دمي وعظامي وكل شيء مني قبل ان تراق قطرة من دمك لأجلي.

انطونيو : إن انا إلا نعجة جرباء ، ولا بد من موتي لنجاة السرح . أعجل الثمار إلى السقوط ضعافها فلأسقط . وانت فاسلم جدير بالبقاء. لا أسالك إلا ان تكتب كلمة ترحُّم على قبري.

(تدخل تريسا في زي كاتب محام)

الدوج : أقادم من بادوا . من قبل الأستاذ بلاريو ؟

تريسا : نعم يا سيدي ، وهو يقريء سموكم السلام .

باسانيو : (مخاطباً شيلوخ الذي يشحذ سكينه على أديم حذائه) . ـ لماذا تشحذ مديتك بهذا النشاط ؟

شيلوخ : لانتزاع لبرة من لحم هذا المفلس .

غراتيانو : إنما تشحذها على الحجر الذي بين جنبيك، لا على أديم نعلك،

ايها اليهودي الغليظ الكبد،وأي حديد لو كان سيف الجلاد يعادل منك هـذا الثقل والمضاء في الحنق والبغضاء . ألا تستمع لضراعة .

شيلوخ : لا أستمع ، وخصوصاً لضراعة من مثل مـا يوحيه اليك فكرك الثاقب .

غراتيانو: ويك ! اذهب لعيناً أيهـا الكلب الجهنمي العقور ! ولتكن حياتك شكاية من العدل . تكاد تزعزع إيماني ، وتدخل على عقيدتي قول فيثاغور : إن نفوس البهائم تنتقل إلى جسوم الناس ، فإن روحك ، ولا ريب ، كانت في ذئب أماتوه شنقاً لافتراسه إنساناً ، فانطلقت تلك الخبيثة هـائمة حتى انتهت اليك وأنت في بطن أمك السعلاة[1] . ذلك لأن بك ما بالذئب من النهمة إلى اللحم ، والظمأة إلى الدم .

شيلوخ : مـا دام قذعك وسبابك لا يمحو التوقيع عن الصك فأنت تتعب رئتيك في باطل . أيها الفتى أصلحْ ما اعتور عقلك من التلف ، لئلا تقع في خبال عقام . هنا القانون حليفي .

الدوج : إن بلاريو في ألوكه[2] هـــذا يوصي المحكمة باستاذ مقتبل

---

(١) السعلاة : أنثى الغول . (٢) ألوك : حديث ، رسالة .

الشباب عليم . أين هو ؟

نريسا : ينتظر على مقربة إذن سموكم بالدخول .

الدوج : آذنه بارتياح . ليبادر ثلاثة او أربعة منكم إلى ملاقاته ، وليصحبوه في المجيء بصنوف الحفاوة،ولتقرأ في هذه المهلة ألوكة بلاريو .

المحضر : (قارئاً) : « أرفع إلى علم سموكم أنني كنت معتلاً حين تناولت الكتاب الكريم ، إلا أنه اتفق ساعة قدوم رسولكم أن عادني صديق في ريعان الشباب متضلعٌ من الحقوق ، سنيّ المنزلة بين علماء رومة يدعى بلتزار ، فطرحت عليه مسألة اليهودي ، والتاجر انطونيو ، وبعد أن راجعنا الكتب مليّاً أقررت رأياً سيطلعكم عليه معززاً بما يضيفه اليه من فيض علمه الواسع ، وإدراكه السامي ، وقد أجابني بعد إلحاحي عليه، الى النيابة عني في المثول لديكم ، فالتمس ألا يحول العدد المنقوص من سنه دون ما هو حقيق به من التجلة لعلوّ كعبه في القانون ، وما أذكر انني شهدت رأساً أشيخَ من رأسه على جسمه ، فهو موكول الى حفاوتكم ، وفضل رعايتكم ، وفي يقيني ان أعماله ستكون أبلغَ في التوصية به من أقوالي » .

الدوج : سمعتم ما ذكره العلامة بلاريو ، وهذا نائبه الفاضل إن صدق تخميني .

(تدخل برسيا في زيّ عالم حقوقي)

الدوج : (مستمراً) : هات يدك . أقادم انت من قبل الشيخ بلاريو ؟

برسيا : نعم يا مولاي .

الدوج : على الرحب والسعة . اجلس . أتدري المسألة التي تهتم بها المحكمة الآن ؟

برسيا : أعرف المسألة بتفصيلها . مَن في هؤلاء التاجر ؟ ومن فيهم اليهودي ؟

الدوج : انطونيو وشيلوخ ، تقدما كلاكما .

برسيا : أتُسمى شيلوخ ؟

شيلوخ : اسمي شيلوخ .

برسيا : دعواك غريبة في بابها ، ولكنها مسوقة سياقاً لا يملك معه قانون البندقية توقيفَ سيرها (مخاطبة أنطونيو) او انت الذي أمرك الآن منوط بأمره ؟

أنطونيو: هذا ما يزعمه .

برسيا : أتعترف بالصك .

أنطونيو: أعترف به .

برسيا : على اليهودي إذن ان يكون رحيماً .

شيلوخ : من الذي يضطرني إلى الرحمة ؟

برسيا : جمال الرحمة ان تكون خياراً لا اضطراراً . فهي كماء السماء ينهمل بالخير ، ويهطل باليمن عفواً ممن وهب ، ويتركه لمن كسب. فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة ، فهنالك بهاء قدرتها ، وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك القائم كانت لهـــامته أزينَ من التاج ، وفي يده أقوى من صولجان الأمر والنهي ، وكان عرشها المنصوص في قلبـه أعظم تمكيناً له من عرشه الذي يستوي عليه لأنها من صفات الله عز وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوي أقربَ شبهاً إلى السلطان العلوي منه ، إذ يلطفُ العدل بالرحمة. فيا ايها اليهودي ، مهما يكن من استنادك في دعواك إلى العدل، فلا تنس ان الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا ان نكون من العافين عن الناس. وإنما خاطبتك هذا الخطابَ لأنبهك إلى ما في طلبك من التغالي، بل الإغراق في التقاضي،فإن لبثت

على إصرارك مع هذا فلا يسع المحكمة إلا الإمتثال لما يوجبه القانون من عقوبة هذا التاجر .

شيلوخ : لتقع تبعة أعمالي على رأسي . أتشبث بالقانون ، وألح في إنفاذ شرطي .

برسيا : أليس في طاقته ان يوفي الدّين ؟!

باسانيو : بلى في طاقته، وانا مستعد لأدائه في هذه الحضرة ، بل لأداء مثليه ، فإن لم يكتف تعهدت بعشرة أمثال المطلوب تعهداً أفادي عليه بساعدي ، ورأسي ، وقلبي . فإن لم يكتف تبين إذن ان العوج يدُول من الإستقامة ، او ان الرذيلة ترهق الفضيلة، فإليكم أضرع بإلحاف ان تلطفوا بسلطانكم قدرته على الإساءة ، متوسلين بأدنى الضير ، للوصول إلى أسنى الخير ، كابحينَ بتأييد من الله الرحيم جماح هـــذا الشيطان الرجيم .

برسيا : هذا ما لا ينبغي كونه . ومـا من قوة في البندقية تستطيـع تشذيب القانون النافذ . فلو فعل ذلك لأعقبه مـا لا يحصى من ضروب التجاوز قياساً على هذا التجاوز الأول .

شيلوخ : ليس قاضينا إلا دانيال ذلك النبي الكريم. أجل هو دانيال.

ألا أيها القاضي المليء بالحكمة على نضارة عودك ، ما أجلَّ قَدرك في نفسي !

برسيا : أستميح الاطلاع على الصك .

شيلوخ : ها هو ذا أيها العلامة الموقر ، ها هو ذا .

برسيا : شيلوخ قد عرض عليك ثلاثة أمثال المقدار .

شيلوخ : سبق اليمين . سبق اليمين . حلفت بالله ، أفأحنث ؟ لا ، ولو أعطيت البندقية كلها .

برسيا : انقضى أجل هذا الصك ، وبموجب الخط الذي فيه حقّت لليهودي قانوناً لبرة من لحم التاجر تُبضَع مما حول القلب . إيهاً . كن رحيماً . تقبل ثلاثة أمثال نقودك وَأجزْ لي ان امزق هذا الصك .

شيلوخ : ليمزقْ بعد إجراء مقتضاه . بيّنٌ أنك قاضٍ جليل ، عليم بالقانون ، فقد شرحت الموضوع شرحاً هو الصحة بعينها ، فباسم القانون الذي انت من عماده الراسخات اكلفك إيقاع الحكم، وأقسم بنفسي إنه ليس في قدرة فصيح من البشر ان يحوّلني عن قصدي ، فلا مناص من إنقاذ حكمي .

انطونيو : ألتمس من المحكمة بإلحاف إيقاع حكمها .

برسيا : الحكم يوجب تعريض صدرك لمديته .

شيلوخ : يا للقاضي النبيل ! يا للفتى اللبيب !

برسيا : ذلك لأن القـــانون موافق بجلاء وثبوت على الحقوق التي خوّله إياها نص الصك .

شيلوخ : قول لا ريب فيه . أيها القـاضي الحكيم العادل . ما أكبر سنك عقلاً وما أقلها اعواماً .

برسيا : اكشف له صدرك .

شيلوخ : نعم صدره . هكذا كتب في الصك . أليس كما أقول أيها القاضي الشريف ؟ بجوار القلب ؟ هكذا ذُكر بالحرف .

برسيا : لا معارضة . أيوجد هنا ميزان لوزن اللحم ؟

شيلوخ : الميزان معي .

برسيا : يجب أيضاً ان يكون هنا جرّاح على نفقتك يا شيلوخ مخافة ان يموت الخصم من شدة انتزاف دمه .

شيلوخ : أهذا وارد في الصك ؟

برسيا : لم يرد في الصك ، ولكنه عمل إنساني يحسن بك ان تعمله .

شيلوخ : لا أرى ما ترى ، وما لذلك ذكر في الصك .

برسيا : إذن أيها التاجر . ألك أقوال ؟

أنطونيو: شيء غير كثير ، انا متأهب وصابر . هات يدك يا باسانيو وتلقَّ وداعي . لا يحزنك ان صرت هذا المصير من أجلك، فإن المقادير قد رَفقت بي رفقاً ليس من مألوفها في مثل مصابي . فمن مألوفها ان تبقي من فقد جاهه حياً ، غائرَ العينين مثقلَ الجبين بالغضون . يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة اما انا فإنها أنقذتني من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو ان تذكرني بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرَها. كيف كانت نهاية أنطونيو ، وتصفَ مبلغ حبي لك وتبثها بثك ، مما ألم بك حين شهدت ميتتي ، فإذا فرغت من ذلك ان تسألها : « ألم يكن لي صديق ؟ » ثم ألا تعاتب نفسك على وفـاة ذلك الصديق ، فإنه هو غير آسف على إبرائك من دينك ، مع علمه ان مدية اليهودي لو انحرفت ، او تمادت قليلاً لذهبت بالقلب كله فداءً لك .

باسانيو : اي أنطونيو،لقد شركت في حياتي امرأة أهواها كهواي، للحياة ، غير انني أكاشفك انه لا الحياة ، ولا امرأتي ، ولا الدنيا كافة بالشيء الذي يعادل عندي بقاءك ، فإني لأرضى بفقد أولئك جميعاً،وتقديم أولئك جميعاً قرباناً لهذا الشيطان في سبيل نجاتك .

برسيا : لو سمعتك زوجك لما أعجبها هذا العرض الذي تعرضه .

غراتيانو : لي عروس أحبها كل الحب ، وتالله لو علمت انها بانتقالها إلى السماء وبشفاعتها يلين قلب هـــذا اليهودي الوحشي لسخوت بها .

نريسا : الحمد لله ان سماحك هذا إنما ذكر في غيابها ، ولو سمعته لما عشتما في رفاء .

شيلوخ : (منفرداً) كذا حال الأزواج من النصارى . لي فتاة وددت لو بنى بها يهودي حتى من نسل باراباس لا مسيحي كائناً من كان(جهراً) نحن نضيع الوقت تفضلوا وانطقوا بالحكم.

برسيا : حقٌ لك رطل من لحم هذا التاجر ،فخذ ما ثبت لك بموجب القانون وبأمر المحكمة .

شيلوخ : يا لك من قاض عادل !

برسيا : ثم لك ان تقتطع الرطل من صدره بموجب القانون وأمر المحكمة .

شيلوخ : يا للقاضي العالم ! كذا الأحكام . تاهب .

برسيا : رويدك . لم نستوف الحكم . الصك لا يجيز لك استنزاف قطرة من الدم ، بل نصه بالحرف « من اللحم » ، فخذ إذاً مـا هو لك . خذ رطل اللحم ، ولكن إذا سفكت عنـد

اقتطاعها نقطة واحدة من دم مسيحي قضى عليك قـانون البندقية باستصفاء أملاكك وأموالك ومآلها الى الحكومة .

غراتيانو : يا للقاضي المنصف ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي العلاّمة!

شيلوخ : أهذا ما يقوله القانون ؟

برسيا : سنطلعك على النص ، لأنك طالب عـــدل ، فلن نرجع في الحكم إلا الى العدل ، أدق ما يكون العدل .

غراتيانو : يا للقاضي العليم ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي الفضيل !

شيلوخ : أما والحالة هذه فانا اقبل ما عرض عليّ . ليدفع إليّ ثلاثة امثال القدر ، ويطلقْ سراح النصراني .

باسانيو : ها النقود .

برسيا : مهلاً ، سينصف اليهودي كل الإنصاف . مهلاً لا تتعجل . سيعطى حقه .

غراتيانو : يا يهودي أملي ان يكون هذا القاضي عادلاً وعالماً كقولك.

برسيا : تأهب إذاً لانتزاع البضعة بلا إراقـــة دم ، واحرص ان تقتطع الرطل لا زيادة ولا نقصاناً . فإذا وجد فرق ، ولو لم يكن إلا عُشر معشار الذرّة ، او لم يكن إلا مثقال شعرة في رجحان كفة من الميزان على الاخرى ، قتلت وصودرت أموالك .

غراتيانو : هذا دانيال ثان . هذا دانيال يا يهودي . الآن قد امسكت بتلابيبك .

برسيا : ماذا تنتظر ايها اليهودي ؟ خذ حقك .

شيلوخ : أعيدوا إليّ أصل قرضي وأنصرف .

باسانيو : هو معدّ لك . ها هو ذا .

برسيا : أباه على المحكمة ، فلا بد من أخذه الحق الذي تقاضاه دون سواه ، كنص القانون بالتدقيق .

غراتيانو : دانيال بعينه. دانيال ثان . اشكر لك تعليمي هذه اللفظة.

شيلوخ : ألا يرد عليّ أصل مطلوبي ؟

برسيا : لن تأخذ يا يهودي إلا ما هو لك ، فتناوله وعليك تبعاته .

شيلوخ : إن كان الأمر كذلك فليحتفظ به ولينصرف عني الى جهنم . لن اطيل الإرغاء في هذا المعنى .

برسيا : على رسلك أيها اليهودي، لم ينتهِ الحكم بعد، وإن في القانون لبقية تعنيك . فقد جاء فيه أنه إذا ثبت على اجنبي توسله بوسائل مباشرة ، او مداورة للقضاء على حياة واحد من الأهلين ، حقّ للمشروع في الجناية عليه نصف ما يملكه الشارع في الجريمة ، وللحكومة النصف الآخر ، وجعلت حياة المأخوذ بالذنب رهن إشارة الدوج بانفراده ، فأنا

أجهر بانك تحت طائلة هـذا النص ، لأنه ظهر جلياً أنك بوسائل منحرفة ومباشرة ، تـآمرت على حياة المدعى عليه، وأوجبت على نفسك ذلك العقـــاب . فاجث والتمس رحمة الدوج .

غراتيانو : استأذن بأن تنصرف فتقضي على نفسك شنقاً . ولما كانت أموالك قد آلت إلى الحكومة ، ولم يبق لديك ثمن الحبل تشتريه فمماتك سيكون على نفقة الجمهورية .

الدوج : إنني أمنحك الحياة قبل ان تلتمسها مني ، لتعلم الفرق بيننا وبينك ، وإذا أبديت ندماً على مـا فات منك لطفت من القصاص الذي يجعل نصف أموالك لأنطونيو والنصف الآخر للحكومة ، فحولت الشطر الثاني منه الى غرامة فحسب .

برسيا : فيما يرتبط بالنصف الذي يرجع الى الحكومة ، دون النصف الذي يرجع الى انطونيو .

شيلوخ : خذوا حياتي إلحاقاً لها بالباقي، فإنكم اذا أزلتم ركن البيت ذهبتم بالبيت . أفاعيش وأنتم لا تدعون لي ما أعيش به ؟

برسيا : بماذا تجود رأفتك عليه يا انطونيو ؟

غراتيانو : بحبل لا أكثر وأيم السماء .

أنطونيو: أضرع الى مولاي الدوج ، والى المحكمة، ان يترك له نصف أمواله ، وحسبي ربع النصف الآخر على عهد مني بتسليم ذلك النصف ، حين وفاة اليهودي الى الرجل الذي تزوج ابنته ، ولي على تحقيق هذا العهد شرط ، هو ان يوقع الآن بحضرة المحكمة ، على صك يخرج به عن كل مال في حوْزته يوم وفاته لصهره لورنزو وكريمته .

الدوج : ليفعل او أسترد عفوي .

برسيا : أتقبل ايها اليهودي ؟ بمَ تجيب ؟

شيلوخ : أقبل .

برسيا : ايها المحضر ، حرر صك الهبة من فورك .

شيلوخ : تكرموا وأذنوني بالإنصراف ، فقد انهد عزمي ، ومتى جاءني الصك أمضيته .

الدوج : لك ان تنصرف ، ولكن إياك ألا توقع .

غراتيانو : سيكون لك عرّابان حين تنصيرك ، لكنني لو كنت انا قاضيك لكان لك بدلهما عشرة نفر يحملونك الى المشنقة (يخرج شيلوخ) .

الدوج : (مخاطباً برسيا) أرجو يا سنيورا ان تجيب دعوتي الى العشاء الليـــلة .

برسيا : ألتمس خاشعاً من سموكم إعفائي ، فإنني عائد الى بادوا من ساعتي .

الدوج : أنا آسف لهذا الإسراع . اشكر يا انطونيو لهذا العـــلاّمة صنيعته اليك ، فإنها لكبيرة فيما أظن .

(يخرج الدوج والشيوخ بعد مطالعة عقد الهبة صامتين)

باسانيو : أيها السيد المبجل ، إني وصاحبي لصنيعتاك منذ اليوم ، بما أقررت به أعيننا من آيات حكمتك ، وبما أنقذتنا من فادح الخطب ، فنبتهل اليك ان تتقبل ثلاثـة آلاف الدوقي التي كانت لليهودي ، لا أجراً وفاقاً ، بل بعضَ الجزاء لما مننت به علينا من حسن مسعاتك .

أنطونيو: هـذا مع بقائنا مدينين لك مدى العمر ، بما هو فوق المال ، ومع إيجابنا على نفسنا كل خدمة وكل وفاء لك الى آخر أيامنا .

برسيا : كفى بالمبرّة مرضاةً للبـارّ ، إني لمسرور لكوني أنقذتكما فاعتدّ هذا جزاءً وافياً ، ولم أكن قط ممن يقيمون للدينار وزناً ، ونهاية ما أرغب فيه اليكما هو أن تعرفاني حين نلتقي بعد الآن ، وأسأل الله لكما النعمة والهناء ، مستأذناً بالانصراف .

باسانيو : اغفر لي يا سنيور إلحاحي عليك بأن تقبل هـدية منا ، على سبيل الذكرى لجميلك ، لا على سبيل المكافأة ، وأتشدد في التماس أمرين منك : قبول الهدية ، والصفح عن إلحاحي .

برسيا : أراك تلحّ لجاجة لا تُبقي لي مندوحة من القبول (مخاطبة انطونيو) أعطني قفـازيك سألبسهما تذكراً لك (مخاطبة باسانيو) وأنت أقبل منك هـذا الخاتم علامة على مودّتك . لا تردّ يدك . لن آخذ منها أكثر من هـذا ، وإخالك مجيبي الى ما طلبت .

باسانيو : هـذا الخاتم يا مولاي ــ وا شقوتا ! ــ أستحيي ان اسديك شيئاً بهذه القيمة الدنيئة .

برسيا : بل هو الشيء الفرد الذي أقبله، والآن قد ازددت رغبة فيه.

باسانيو : لهذا الخاتم ثمن معنوي عندي لا مناسبة بينه وبين ثمنه المالي، فدعه لي على ان أبتـاع لك أغلى خاتم في البندقية ، خاتم ارسل في التماسه الدلاّلين والمنادين منبثّين في كل جهـة . أيكفي ذلك لتعذرني عن السماح بهذا الخاتم ؟

برسيا : أجد يا سنيور أنك لا تجود إلا بالوعود ، وقد علمتني كيف أقترح، ثم تعلمني الآن كيف أمنع ما يثقل على الطبع من العطاء.

باسانيو : إني يا سيدي متشبث بهذا الخاتم ، لأن امرأتي قد وهبتني إياه ، واستحلفتني حين وضعته في اصبعي ألا أبيعه ، ولا أسمح به ، ولا أفقده .

برسيا : هذا اعتذار يعتذر به غير واحد من الرجال عن إهداء ما يطلب منهم، إلا انني أعتقد ان امرأتك إذا علمت بما فعلته لاستحقاق هذه الهبة لم يغضبها تخليك عن الخاتم ، في الحد الذي تتصوره ، إلا إذا كان بها مسّ من الجنون . لا باس . السلام عليكم (تهم بالإنصراف) .

أنطونيو: (مخاطباً باسانيو) أعطه هذا الخاتم يا سنيور باسانيو ، ألا تضع خدمته لي وصداقتي لك في كفة من الميزان ، تقابل الكفة التي فيها نهى عروسك ؟! عجل واهده اليه .

باسانيو : اليك يا مولاي المبجل هذا الشيء الذي رغبت فيه ، قد طابت نفسي عنه لك ، وأنت المتفضل الحميد ، حياك الله يا مولاي .

أنطونيو: حياك الله أيها السيد الأمثل ، ليتك تسمح بزيارتي الآن مع السنيور باسانيو فتزيدني إحساناً .

برسيا : أعتذر اليك على أسف مني، لأنني مضطر إلى السفر عاجلاً.

(يخرج باسانيو وأنطونيو ويدخل خادم فيدفع ورقة الى نريسا)

نريسا : هذا صك اليهودي قد جيء به الآن .

برسيا : لنذهب إلى اليهودي فيوقعْ عليه حالاً ، ثم نبحرْ من فورنا لنسبق زوجينا الى القصر .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمنت – شارع أمام قصر برسيا

(يدخل لورنزو وجسيكا)

لورنزو : القمر يضيء إضاءة ساطعة . في مثل هذه الليلة كان النسيم الخفيف يداعب الأوراق مداعبة لا يسمع لها حفيف، وكان ترويل على أسوار طروادة ، يتنفس الصُّعداء ملتفتاً نحو خيام الإغريق ، ذاكراً حبيبته كريسيده .

جسيكا: في هذه الليلة كانت تسبا تطأ الندى . فرفع لها طيف أسد قبل ان ترى الأسد ففرّت مروّعة .

لورنزو : في مثل هذه الليلة كانت ديدون ، وبيدها غصن صفصاف واقفة على شاطيء البحر تنادي عشيقها وتشير اليه ان يعود الى قرطاجنة .

جسيكا : في مثل هذه الليلة ذهبت ميده تقطف الأنبتة السحرية التي بها تجدّد شباب إيسون .

لورنزو : في مثل هـذه الليلة فرّت جسيكا من بيت اليهودي الغني لاحقةً بعاشقها المخاطر من البندقية الى بلمنت .

جسيكا: وفي هذه الليلة حلف لها محبها اليافع لورنزو ان يهواها إلى آخر نسمة من حياته ، وقطع لهـا على الثبات عهوداً ، لن يكون صادقاً في أحدها .

لورنزو : وفي مثل هذه الليلة وشت المعشوقة الماكرة جسيكا بمحبها فغفر لها ما فرَط من ذنبها .

جسيكا: لولا سماعي خُطى قادم لأطلت هذه المحاورة .

(يدخل ستفانو)

لورنزو : من الساري بهذه السرعة ؟

ستفانو : صديق .

لورنزو : اي صديق ؟ ما اسمك بحق الوداد ايها الصديق ؟

ستفانو : اسمي ستفانو . وقد جئت لأبشركم بأن مولاتي لا تلبث ان تصل إلى بلمنت وهي هائمة على وجهها ، كلما صادفت أحد الصلبان المقدسة في طريقها جثتْ وضرَعت إلى الله بأن يبارك في قرانها .

لورنزو : من يصحبها !

ستفانو : لا أحد سوى وصيفتها وناسك . أخبرني متفضلاً : أعاد مولاي ؟

لورنزو : لم يَرِدْ نبأ عنه الى الآن . لنعد يا جسيكا الى البيت ونهيء لربّة القصر لقاءً لائقاً بها (يدخل لنسلو) .

لنسلو : هيا . هيا . هو هيا .

لورنزو : مَن ينادي ؟

لنسلو : هيا. أرأيت المسيو لورنزو؟ أرأيت السيدة قرينة لورنزو؟ هيا . هو .

لورنزو : كفى صخباً . ها هما .

لنسلو : هيا . أين . أين هما ؟

لورنزو : هنا .

لنسلو : قل لهما إنه جاء بريد من قبل سيدي مملوء الجيوب أخباراً سارّة ، وسيكون سيدي في هذا المكان قبيل الفجر .

(يبتعد)

لورنزو : هلمي ندخل يا روحي العزيزة ، وننتظر عودهما . ولكن لا. علامَ الدخول . قد أبلغ الصديق ستفانو أهل القصر أن

مولاتك على وشك القدوم ، وقد جاء بالموسيقيين الى هـذا الخلاء ليكونوا في الهواء الطلق (يستعد ستفانو) .

لورنزو : (متمماً) مـا أرقّ ضوء القمر في انبساطه هادئاً على وجه هـــذه المرجة الخضراء . لنجلس ونشنّـف آذاننا بأنغام الموسيقى ، فإن الظلام والسكوت أفضل مواقع الألحان . اجلسي يا حبيبتي جسيكا وسرّحي الطرْف في هذا الفضاء العلوي الممدد تمديد المستوى الخشبي الصقيل ، وقد رصع بما لا يحصى على الصُّحيفات الذهبية اللامعـة . ما من جرم في هـذه الأجرام التي ترينها إلا وهو ضام نغمته السماوية الى خورس الملائكة ذات العيون الملأى صبا ، ومثل هـــذا الشجى الشائق يتردد في النفس الخــالدة ، ولكن الكساء الضافي علينا من نسج الفساد وحمأة الصلصال يحول دون سماعنا ذلك الإيقاع .

(يدخل الموسيقيون)

لورنزو : تعـالوا ، ولتستيقظ ديانا على أصواتـكم . أطربوا بمحاسن ألحانـكم مسامع سيدتـكم ، وليجتذبها الشوق نحو مستقرها .

جسيكا : لا أستطيـع ان أكون فرحة عندما أسمع موسيقى شجية .

لورنزو : ذلك لأن قواك تكون صاغية . انظري الى مقنبة من المهار

الوحشية الوثابة، ولما تبلُ ما بالشكيم واَلحكم من حكم وألم، تجديها مندفعة بحرارة دمها الغالي اندفاع ما لا رادّ له،تقرع الهواء برنّات صهيلها . فإذا حملت الريح اليها بغتة عزفاً موسيقياً وقفت جماعةً من فورها ، وغلب فعل النغم الذي سكنت اليه على تلك العزيمة الهمجية التي كانت تتّقد في عينيها ، ولهذا ادّعى الشعراء ، وما أخطأوا ، أن اورفه كان يجذب اليه الأشجار والصخور واللجج ، إذ ما من مخلوق بلغ ما بلغ من البلادة وجمود الحس والهمجية إلا وللموسيقى تأثير في طبيعته.الرجل الذي لا يشعر بالموسيقى ولا يهزّه الطرب إنما هو مفطور على الغدر والاحتيال والاغتيال. حركات نفسه قطوب كقطوب الظلام،وأهواؤه سود كأهواء الريب. وقصارى القول إنه رجل يحذر شرّه ويتقى أمره . لنتسمع للموسيقى .

(تظهر برسيا ونريسا من جانب آخر)

برسيا : هـذا النور الساطع منبعث من كوّة المزارة الكبرى في قصري ، ما أبعد مداه بالإضاءة ، وما أشبهه بالعمل الطيب في هذا العالم الخبيث .

نريسا : لم تنظره قبل ان يغشى السحاب القمر .

برسيا : وهكذا المجد الصغير يستغرقه المجـد الكبير . يظل رسول الملك متألق المظهر ، حتى يجيء مولاه ، فيتوارى الرسول في جلال الملك ، كما يتلاشى الجـــدول الضعيف في البحر الواسع . أسمع أنغام موسيقى . لنصغِ اليها .

نريسا : هذه موسيقى القصر .

برسيا : قيمة الأشياء أبداً نسبية ، ويخيّـل إليّ أن هـــذه الألحان أشجى الآن منها في النهار .

نريسا : السكوت يا سيدتي يعيرها هذا الطرب .

برسيا : إنما الغراب والقنبراء واحد في أذن من لا ينصت اليهما ، وعندي أن البلبل لو غرّد نهاراً بين صداح الإوز ، لما أنزل من الطرب إلا في منزلة البوبانة . وكم من الأشياء لا يتأتى سناء قدرها ، ولا يتسنى لها تمام بهجتها ، إلا من ملاءمة آنها او أينها ، صه ،قد رَقّ النغم لئلا يستيقظ العاشقان النائمان على وساد واحد (ينقطع صوت الموسيقى) .

لورنزو : (قادماً ومخاطباً أحداً وراءه) هـذا صوت برسيا ، او شدّ ما أنا مخطىء .

برسيا : عرفني كما يعرف الأعمى رنّـة الواقته ، لسوء مـــا تتشبّـه نغماتها بنغمة الطائر .

لورنزو : على الرحب نزولك في دارك يا مولاتي .

برسيا : ضرعنا إلى الله استدراراً للخير على زوجينا ، وأملنا ان يكون دعاؤنا قد استجيب . أرجعا ؟

لورنزو : تقدم يشير بقرب ورودهما .

برسيا : ادخلي القصر يا نريسا،وأوصي خدمي بالا يبوحوا بغيبتنا. وانت يا لورنزو ، حذار ان تفشي السر، وأنت يا جسيكا (يسمع معزف) .

لورنزو : هذا معزف قرينك ، فهو قاب قوسين منا . نحن حفظة للعهد ، فلا تخشى ان نكاشف أحداً بما في الضمير .

برسيا : يكاد الليل ، وهذا إقماره ، يشبّه بالنهار ، غشيت السحب شمسه فبدا في حلة من البهار .

(يدخل باسانيو وأنطونيو وغراتيانو وأتباعهم)

باسانيو : لو حلي الليل بطلعتك لكانت الشمس معنا في هذا المكان وفي مقاطره من الأرض .

برسيا : يضيء نوري من غير ان يزدهر،فإلى المرأة البعيدة الإشراق لا يكون زوجها إلا محنقاً غضوباً ، وبودي ألا تكون ذلك أبداً . إنما يفعل الله ما يشاء . أهلاً بك يا مولاي في أهلك وسهلاً في سهلك .

باسانيو : حيـــاك الله ، وشكر لك عني يا سيدتي تفضلي ورحبي بصديقي ، هذا أنطونيو هـذا هو الرجل الذي أنا مدين له بكثير .

أنطونيو: غير انني قد كوفئت أحسن مكافأة عن كل ما كان .

(يحدث حوار بين غراتيانو ونريسا)

برسيا : مرحباً بك في هذا الصرح يا سنيور ،سنحاول إثبات وفائنا لك بغير الألفاظ ، فدعنا من المجاملة الشفوية غير المفيدة .

غراتيانو : (مخاطباً نريسا) وأيم هذا القمر المنير ،لأنت مخطئة بشكواك مني . قسماً بقولي ـ وإنه لصادق ـ لم أهد الخاتم إلا إلى كاتب المحامي ، ليت ذلك الكاتب لم يكن ولا السبب الذي أثر فيك هذا التأثير كله .

برسيا : ويكما أبدأتما الشجار ؟ علام تختلفان ؟

غراتيانو: على خاتم ذهب لا قيمة له ، أعطتني إياه ، وعليه كلمات منقوشة مما يحفر مثله صناع المدى ، وتلك الكلمات هي بلفظها : « أحببني ولا تتركني » .

نريسا : ما دخل القيمة او النقش ؟ عندما وهبتك إياه ، أقسمت لي أنك تستبقيه الى المات ، بل تستصحبه الى القبر ، فكان جديراً بك تحرماً لأيمانك المغلظة ان تحتفظ به . لكنك

تزعم انك جدت به على كاتب محام . وأنا على يقين من ان ذلك الكاتب لم ينبت الشعر في ذقنه .

غراتيانو: سينبت له عذار إذا أدرك الرجولة .

نريسا : أجل ! على تخمين ان الأنثى تصبح ذات يوم ذكراً .

غراتيانو: أعزم انني أهديته الى غلام مراهق ، ربعة لا ينيف عليك طولاً ، وهو كاتب القاضي . التمسه مني أجراً لخدمته ولم أجرؤ ان أضنّ به عليه .

برسيا : إذا وجبت المصارحة بما في الضمير فقد أخطأت بأن منحته – من غير أن تبصر – أول هدية أهدتها اليك امرأتك ، ولا سيما انها خاتم تقلدته ، مقسماً بالحرص عليه ، وكان جديراً بأن يستمر لصيقاً بلحمك مدى العمر ، لأنه عربون الوفاء الزوجي ، على انني قد أهديت إلى قريني خاتماً من قبيله ، واستحلفته ألا يطيب عنه نفساً ، فاسأله تتيقن كيقيني انه لو بودل عليه بكنوز الخافقين ، لما أخرجه من اصبعه . حقاً يا غراتيانو . لقد أحدثت في نفس امرأتك سبباً مثيراً للشجن، ولو أحدث بعلي مثله في قلبي لذهب بلبي.

باسانيو : (منفرداً) يا للداهية. كان خيراً لي ان أقطع يسراي، وأقسم انني لم أفقد الخاتم إلا بعد دفاع مجيد .

غراتيانو: السنيور باسانيو منح خاتمه للقاضي ، بعد ان لج في طلبه ، وكان القاضي خليقاً بأن يعطى ما يشاء ، أما انا فقد رغب إليّ كاتب سره في الحصول على الخاتم الذي بيدي ، فعرفت له قدر ما كتب ، وما تعب ، وحققت أمله . على انهما كليهما قد عفّا عن كل جزاء منا إلا هذين الخاتمين .

برسيا : اي خاتم وهبت ايها السيد ، لعله غير الذي أخذته مني .

باسانيو : لو استطعت ان أضيف أكذوبة الى ذنبي لأنكرت، ولكنك ترين ان الخاتم ليس في اصبعي ، وقد فقدته .

برسيا : ويحك من قليل الإيمان حانث بالأيمان ؟ آليتُ بالعلي العظيم ألا أدخل سريراً انت فيه ما لم أجد خاتمي .

نريسا : وأحلف مثل حلفتها او أجدَ خاتمي .

باسانيو : يا سيدتي الجميلة ! لو كنت تعلمين لمن أعطيته ، ومن أجل من أعطيته ، وبعد اي تمنع أعطيته ، إذ لم يرضه اي شيء سواه ، لرفهت عليك ، وخففت من كدرك .

برسيا : وانت لو علمت قيمة ذلك الخاتم ، او نصف قيمة الإنسان الذي وهبك إياه ، ولو أدركت ان شرفك مرتبط بألا تتخلى عنه ، لمـــا طبت عنه نفسه . ولو تشددت بعض

التشدد الواجب في الدفاع ، لما سمح رجل عنده ما قلّ من الرقة ، او الكياسة ، او الأدب ان يصر على سلبك شيئاً له عندك مثل تلك الكرامة . لقد أفهمتني نريسا ما يجدر بي ان أظنه. وانا الآن على ثقة من ان الخاتم إنما أهدي الى امرأة.

باسانيو : لا يا سيدتي ، أعزم على شرفي ، وعلى نجـــاة نفسي إن الذي تلقى الخاتم ليس امرأة ، بل عالم حقوق لم يرضَ ثلاثة آلاف دوقي عرضناها عليه ، وانمـا ابتغى خاتمي ، فبعد أن أبيته عليه ، وكاد ينصرف مغضَباً ، مع أنه منقذ صديقي – ماذا أقول لك أيتها الحبيبـة برسيا – غلبني على أمري عظمُ جميله، واستحييت من ضَنّـي عليه تجاه تفضله عليّ فلم أجرؤ ان أدع على شرفي وَصْمة عار كوصمة هـذا الجحود للإحسان ، فاغفري لي ذنبي يا مليكة لُبّـي ، وأستشهد كواكب السماء، مصابيح هذه الليلة البيضاء، انك لو كنت حاضرة لأمرتني أمراً بإعطاء الخاتم لذلك الذكي العالم.

برسيا : حذار ان تدنو عالمك من حرمي ، فتالله لو جاء بعـــد أن حصل على الحليـــة التي كانت عزيزة عليّ ، وكنت حالفاً بالحرص عليها من أجل حبي ، لو جاء لَما بخلت عليه بشيء

يطلبه مما لا ابيحه إلا قريني دون سواه. واعلم انني سأعرفه، فإياك ان تتغيب ليـلة واحدة ، وألاّ ترقبني دائباً بعيون الحذر ، فإنك إن قصرت في ذلك، او تركتني يوماً منفردة فو إيم شرفي الذي مـــا زال ملكي ، لأبيتنّ وضجيعي ذلك العالم .

نريسا : (مخاطبة غراتيانو) وليكونن ضجيعي كاتبه إن غفلت عني.

غراتيانو: ليفعل إن استطاع ، ولكن إياه ان يقع في يـــدي فأهشم بها قلمه .

أنطونيو: يا أسفي ! أنا المسبب لكل هذا الشجار .

برسيا : لا تُبالِ ذلك يا سنيور ، مرحباً بك على كل حال .

باسانيو : برسيا ! اصفحي لي عن هـذه الغلطة التي وقعت برغمي ، وأقسم على مرأى ومسمع من أصحابنا هؤلاء. أُقسم بعينيك اللتين أرى فيهما ...

برسيا : يا أيها الرجل الذي هو اثنان في واحد ، وكذلك يتراءى في كل من عيني . اقسم بازدواجك هذا اصدّق يمينك .

باسانيو : رحماك ! اصغي إليّ. تجاوزي لي عن هذه الغلطة، وأحلف بنفسي انني لن أحنث بأيماني لك بعد اليوم .

أنطونيو: (مخاطباً برسيا) قـد سلف انني رهنت من أجله حياتي ،

وهي تلك الحياة التي كدت أسلبها ، لولا العالم الذي كوفىء بذلك الخاتم . واليوم أرتهن لك عهـدي عنه بأنه لن يحنث عن عمد ، او على علم منه، باي أمر يكون قد عاهدك عليه.

برسيا : رضيت بك ضامناً، فأعطه هذا الخاتم، وأوصه بأن يحرص عليه أكثر مما حرص من قبل .

(يتناول خاتماً ويدنيه إلى باسانيو)

انطونيو: تناول هذا الخاتم يا سنيور باسانيو واحلف بأنك تصونه .

باسانيو : وإيم الله هو نفس الخاتم الذي وهبته للعالم .

برسيا : من يده تلقيته ، وغفرانك يا باسانيو !

نريسا : (مخاطبة غراتيانو) كذلك أنا ألتمس عفوك يا حبيبي غراتيانو ، فإن ذلك الفتى المتقاصر ، كاتب القاضي ، قـد أعاد إليَّ هذا الخاتم الليلة البارحة .

غراتيانو: غرابة وأي غرابة ! أفرخت لنـا قرون ولم يحن نباتها ! ما أشبه هـــذه الحالة بإصلاح الطرقات الجميلة صيفاً حيث لا حاجة الى ذلك الإصلاح .

برسيا : لطف من ألفاظك ! أجدكم جميعاً دهشين (مخاطبة باسانيو) هـذا كتاب تقرؤه ـ حين فراغ ـ كتبه بلاريو من بادوا ، وفيه أن برسيا د ر الـالم ، ونريسا هي ناموسه . وسيخبركم

لورنزو انني سافرت منذ سافرتم ، وأنني إنما عدت الآن قبيل عودتكم ، فلم أملك ان أدخل قصري . انطونيو مرحباً بك، وإليك نبأً مبهجاً لم يكن في حسبانك: افضض سريعاً هذا الألوك ترَ فيه ان ثلاثة من مراكبك مليئة بأثمن الأوساق قد بلغت الى المرفأ سالمة ، بعد اليأس من نجاتها ، ولن اذكر لك المصادفة التي أوصلت إليّ هذا الكتاب قبل انتهائه اليك .

انطونيو: عيّ لساني .

باسانيو : (مخاطباً برسيا) يا عجباً ! أأنت التي كانت ذلك القاضي ولم تتبينك ؟!

غراتيانو: (مخاطباً نريسا) يا عجباً ! أأنت كنت ذلك الناموس الذي انتدب ليستنبت لي قرنين ؟!

نريسا : نعم،ولكن ذلك الفتى لن يفعل ما ذكرت حتى يصير رجلاً

باسانيو : (مخاطباً برسيا) نعم العلاّمة الخلاّبة ، ستكون ايها الأستاذ قسيمي في سريري ، واذا انا غبت ضجيع امرأتي .

أنطونيو: (قد أتم القراءة) يا سيدتي لقد أفضت عليّ جميع النعم في إفاضة واحدة : الحياة ومقوّماتها ، وان هذا الألوك ليؤيد تأييداً مانعاً للريب رسوّ سفني ناجية في الميناء .

برسيا : ثم اعلم يا لورنزو ان في حقيبة كاتبي أنباء تسرك أيضاً .

نريسا : أجل ، وساعطكيها غير ماجورة ، فهذا عقد بموجبه نزل اليهودي الغني لك ولجسيكا نزولاً قانونياً وثيقاً عن جميع أملاكه وأمواله بعد مماته .

لورنزو : أيتها السيدتان الشائقتان لقد أغدقتما المن وأمطرتما السلوى على الجياع والعطاش .

برسيا : أوشك الفجر ان يلوح ، وما أجد عند أحد منكم إلا رغبة في الوقوف على تفصيل هذه الحوادث ، فهلموا ندخل ، فتسالونني وأجيبكم بجلاء عن كل ما تستوضحون .

غراتيانو: حباً وكرامة. لكنني سأسأل نريسا بادىء بدء عما اذا كانت تؤثر التريث على المبيت الى الليلة الآتية او اغتنام الساعتين الباقيتين من السحر . اما انا فلو كان الوقت نهاراً لتمنيت عودة الظلام وقضاء ساعاته في هناءة مع كاتب القاضي ، ولن أخشى ما حييت بعد الآن إلا ان أفقد خاتم نريسا .

(يبتعدان ويهبط الستار)

توزيع دار الجيل